وجهه فانه الرين والطبع الذي يمنع الله به القلوب عن معرفته وأن الله يحول بين المرء وقلبه * ﴿القسم الثاني في الاعمال الظاهرة﴾ وهي عشرة أصول *

﴿ الاصل الاول في الصلاة ﴾

قال الله تعالى (وأقم الصلاة لذكري) وقال النبي عليه السلام الصلاة عماد الدين * واعلم أنك في صلاتك مناج ربك فانظر كيف تصلي * وحافظ فيها على ثلاثة أمور لتكون من جملة المحافظين على الصلاة والمقيمين لها فان الله تعالى انما يأمر بالاقامة ويقول ﴿أقم الصلاة وأقيموا الصلاة﴾ وليس يقول صل أو صلوا * ويثني على المحافظين على الصلاة فيقول (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) * ﴿ الاول ﴾ المحافظة على الطهارة بان يسبغ الوضوء قبل الصلاة واسباغها أن يأتي بجميع سننها وأذكارها المروية عند كل وظيفة منها ويحتاط أيضا في طهارة ثيابه وطهارة بدنه وطهارة الماء الذي يتوضأ به احتياطا لا ينفتح عليه باب الوسواس فان الشيطان يوسوسه في الطهارة فيضيع اكثر أوقات العبادة *

﴿واعلم﴾ أن المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارج ثم من طهارة البدن وهو القشر القريب * ثم طهارة القلب وهو اللب الباطن * وطهارة القلب عن نجاسات الاخلاق المذمومة أهم الطهارة كما سنذكرها في القسم الثالث لكن لا يبعد أن يكون لطهارة الظاهرة أيضا تأثير في اشراق نورها على القلب * فانك اذا أسبغت الوضوء واستشعرت نظافة ظاهرك صادفت في قلبك انشراحا وصفاء كنت لا تصادفه من قبل — وذلك لسر العلاقة التي بين عالم الشهادة وعالم الملكوت . فان ظاهر البدن من عالم الشهادة . والقلب من عالم الملكوت باصل فطرته * وانما هبوطه الى عالم الشهادة كالغريب عن جبلته وكما تنحدر من معارف القلب آثار الى الجوارح — فكذلك يرتفع من أحوال الجوارح أنوار الى القلب — ولذلك أمروا بالصلاة مع أنها حركات الجوارح التي هي من عالم الشهادة * ولذلك جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا ومن الدنيا * وقال حبب الي من دنياكم ثلاث الحديث * فلا يستبعد أن يفيض من طهارة الظاهر أثر

على الباطن * ففي بدائع صنع الله أمور أعجب من هـذا اذ قد عرف بالتجربة ان المجامع في حال المباشرة لو أدمن النظر الى بياض مشرق أو حمرة قانية حتى غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود الى ذلك اللون الذي غلب عليه * وان الجنين أول ما يتحرك في البطن تميل صورته الى الحسن ان كانت الأم مشاهدة في تلك الحالة لصورة حسنة بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها * ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المباشر عند مباشرته أن يحضر في قلبه ارادة اصلاح المولود * ويدعو الله بذلك فيقول * اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان عما رزقتنا * حتى يفيض الله سبحانه مبادي الصلاح على الروح التي يخلقها عند القاء البذر في محل الحرث بواسطة الصلاح الغالب على قلب الحارث كما يفيض الله النور بواسطة المرآة المحاذية للشمس على بعض الاجسام المحاذية للمرآة * وهذا الآن نقرع بابا عظيما من معرفة عجائب صنع الله في الملك والملكوت . والى قريب منه يرجع سر الشفاعة في الآخرة فلنجاوزه . فعرضنا الآن ذكر الاعمال دون

المعارف * وقد أشممناك شيئا يسيراً من أسرار الطهارة الظاهرة * فان كنت لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئا من الصفاء الذي وصفناه * فاعلم أن الدرن الذي عرض على قلبك من كدورات شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كلال حس القلب فصار لا يحس باللطائف . والاشياء الخفية اللطيفة ولم يبق فى قوته الا ادراك الجليات ان بقى * فاشتغل بجلاء قلبك وتصفيته — فذلك أوجب عليك من كل ما أنت فيه *

﴿ المحافظة الثانية ﴾ أن تحافظ على سنن الصلاة وأعمالها الظاهرة وأذكارها وتسبيحاتها حتى تأتي فيها بجميع السنن والآداب والهيئات كما جمعناها في ﴿ كتاب بداية الهداية ﴾ فان لكل واحد منها سراً وله تأثير فى القلب كما نبهنا عليه فى تأثير الطهارة بل أشد وأبلغ وشرح ذلك يطول * وأنت اذا أتيت بذلك انتفعت به وان لم تعلم اسراره كما ينتفع شارب الدواء بشربه وان لم يعرف طبائع اخلاطه ووجوه مناسبته لمرضه ﴿ واعلم ﴾ أن الصلاة صورة صوّرها رب الارباب كما صور الحيوان مثلا * فروحها النية والاخلاص وحضور القلب * وبدنها الاعمال * وأعضاؤها

الاصلية الاركان * وأعضاؤها الكمالية الابعاض * فالاخلاص والنية فيها يجري مجرى الروح * والقيام والقعود يجري مجرى البدن * والركوع والسجود يجري مجرى الرأس واليد والرجل واكمال الركوع والسجود والطمأنينة وتحسين الهيئة يجري مجرى حسن الاعضاء وحسن اشكالها وألوانها * والاذكار والتسبيحات المودعة فيها تجري مجرى آلات الحس المودعة في الرأس والاعضاء كالعينين والاذنين وغيرهما * ومعرفة معاني الاذكار وحضور القلب عندها يجري مجرى قوة الحس المودعة في آلات الحسي كقوة السمع وقوة البصر والشم والذوق واللمس في معادنها *

﴿ واعلم ﴾ أن تقربك بالصلاة كتقرب بعض خدم السلطان باهداء وصيفة الى السلطان ﴿ واعلم ﴾ أن فقد النية والاخلاص من الصلاة كفقد الروح من الوصيفة * والمهدي للجيفة الميتة مستهزئ بالسلطان * فيستحق سفك الدم * وفقد الركوع والسجود يجري مجرى فقد الاعضاء * وفقد الاذكار يجري مجرى فقد العينين من الوصيفة * وجدع الانف

والاذنين وعدم حضور القلب في غفلته عن معرفة معاني القرآن والاذكار كفقد السمع والبصر مع بقاء جرم الحدقة والاذن * ولا يخفى عليك أن من أهدى وصيفة بهذه الصفة كيف يكون حاله عند السلطان ﴿ واعلم ﴾ أن قول الفقيه في الصلاة الناقصة الفاظها وسننها أنها صحيحة كقول الطبيب في الوصيفه المقطوعة أطرافها أنها حية وليست بميتة * فان كان ذلك كافيا في التقرب بها الى السلطان ونيل الكرامة منه ﴿ فاعلم ﴾ أن الصلاة الناقصة صالحة أيضاً للتقرب بها الى الله سبحانه ونيل الكرامة وان أوشك أن ترد ذلك على المهدي ويزجر فلا يبعد مثل ذلك في الصلاة * فانها قد تردّ على المصلي كالخرقة الخلقة كما ورد في الخبر ﴿ واعلم ﴾ أن أصل الصلاة التعظيم والاحترام واهمال آداب الصلاة يناقض التعظيم والاحترام ﴿ المحافظة الثالثة ﴾ أن تحافظ على روح الصلاة وهي الاخلاص وحضور القلب في جملة الصلاة واتصاف القلب في الحال بمعانيها * فلا تسجد ولا تركع الا وقلبك خاشع متواضع على موافقة ظاهرك * فان المراد خضوع القلب لا خضوع البدن * ولا تقول ﴿ الله اكبر ﴾ وفي قلبك شيء اكبر

من الله تعالى ولا تقول ﴿وجهت وجهي﴾ الا وقلبك متوجه بكل وجهه الى الله ومعرض عن غيره * ولا تقول ﴿ الحمد لله﴾ الا وقلبك طافح بشكر نعمه عليك فرح به مشتبشر . ولا تقول ﴿واياك نستعين﴾ الا وأنت مستشعر ضعفك وعجزك . وأنه ليس اليك ولا الى غيرك من الامر شئ — وكذلك فى جميع الاذكار والاعمال * وشرح ذلك يطول * وقد شرحناه في كتاب الاحياء فجاهد نفسك فى أن تردّ قلبك الى الصلاة حتى لا تغفل من أولها الى آخرها * فانه لا يكتب للرجل من صلاته الا ما عقل منها . فان تعذر عليك الاحضار وما أراك الا كذلك * فانظر فان كان قدر الغفلة مقدار ركعتين فلا تعد الصلاة ولكن افهم أن النوافل جوابر الفرائض * فتنفل بمقدار أن يحضر القلب فيها فى مقدار ركعتين . فكلما زادت الغفلة زد فى النوافل حتى يحضر قلبك * مثلا في عشر ركعات بمقدار أربع ركعات وهو قدر فرضك فمن رحمة الله عليك ان قبل منك جبران الفرائض بالنوافل * فهذه أصول المحافظة على الصلاة *

﴿ الاصل الثاني في الزكاة والصدقة ﴾

قال الله سبحانه ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعفها لمن يشاء ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ هلك الاكثرون الا من قال بالمال هكذا وهكذا * ﴿ فاعلم ﴾ أن انفاق المال في الخيرات أحد أركان الدين ﴾ وانما سر التكليف به بعد ما يرتبط به من مصالح البلاد والعباد . وسد الخلات والفاقات فان المال محبوب الخلق وهم مأمورون بحب الله ويدعون الحب بنفس الايمان * فجعل بذل المال معيارا لحبهم وامتحانا لصدقهم في دعواهم فان المحبوبات كلها تبذل لاجل المحبوب الاغلب حبه على القلب فانقسم الخلق فيه الى ثلاث طبقات ﴿ الطبقة الاولى ﴾ الاقوياء وهم الذين انفقوا جميع ما ملكوا ولم يدخروا لانفسهم شيئا فهؤلاء صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الحب كما فعل أبو بكر الصديق اذ جاء بماله كله . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا أبقيت لنفسك * فقال الله ورسوله * وقال لعمر رضي الله عنه ماذا أبقيت لنفسك * قال مثله أي مثل ما أتيت به * فقال

صلى الله عليه وسلم بينكما مثل ما بين كلمتيكما ﴿ الطبقة الثانية ﴾ المتوسطون وهم الذين لم يقدروا على اخلاء اليد عن المال دفعة واحدة . ولكن أمسكوه لا للتنعم بل للانفاق عند ظهور محتاج اليه . فهم يقنعون في حق أنفسهم بما يقويهم على العبادة واذا عرض محتاج بادروا الى سد خلته وحاجته ولم يقتصروا على قدر الواجب من الزكاة وانما غرضهم الاظهر في الامساك ترصد الحاجات ﴿ الطبقة الثالثة ﴾ الضعفاء وهم المقتصرون على أداء الزكاة الواجبة فلا يزيدون عليها ولا ينقصون منها * فهذه درجاتهم وبذل كل واحد على مقدار حبه لله . وما أراك تقدر على الدرجة الاولى والثانية . ولكن اجتهد حتى تجاوز الدرجة الثالثة الى أواخر طبقات المقتصدين المتوسطين * فتزيد على الواجب ولو شيئا يسيراً . فان مجرد الواجب حد البخلاء قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ﴾ أي يستقصى عليكم فتبخلوا * فاجتهدوا أن لا ينقضي عليك وقت الا وتتصدق بشيء وراء الواجب ولو بكسرة خبز فترتفع بذلك عن درجة البخلاء * فان لم تملك شيئا فليست الصدقة كلها

في المال لكن كل كلمة طيبة وشفاعة ومعونة فى حاجة وعيادة مريض وتشييع جنازة . وفي الجملة أن تبذل شيئا مما تقدر عليه من جاه ونفس وكلام لتطييب قلب مسلم فيكتب جميع ذلك لك صدقة . وحافظ في زكوتك وصلاتك وصدقتك على خمسة أمور ﴿ الاول الاسرار ﴾ فان في الخبر أن صدقة السر تطفئ غضب الرب . والذي يتصدق بيمينه بحيث لا تعلم شماله وهو أحد السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله . وقد قال الله تعالى ﴿ وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ وبذلك تتخلص عن الرياء فانه غالب علي النفس وهو مهلك ينقلب فى القلب اذا وضع الانسان فى قبره في صورة حية أي يؤلم ايلام الحية * والبخل ينقلب في صورة عقرب * والمقصود في كل الانفاق الخلاص من رذيلة البخل * فاذا امتزج به الرياء كان كأنه جعل العقرب غذاء الحية . فما تخلص من العقرب ولكن زاد في قوة الحية . اذ كل صفة من الصفات المهلكات في القلب انما غذاؤها وقوتها فى اجابتها الى مقتضاها ﴿ الثاني ﴾ ان تحذر من المنّ . وحقيقته ان ترى

نفسك محسناً الى الفقير متفضلا عليه * وعلامته ان تتوقع منه شكرا أو تستنكر تقصيره فى حقك ومعاملاته عدوك استنكارا يزيد على ما كان قبل الصدقة — فذلك يدل على انك رأيت لنفسك عليه فضلا * وعلاجه ان تعرف انه المحسن اليك بقبول حق الله منك . فان من اسرار الزكوة تطهير القلب وتزكيته عن رذيلة البخل وخبث الشح — ولذلك كانت الزكاة مطهرة اذبها حصلت الطهارة فكانها غسالة نجاسة — ولذلك ترفع رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته من أخذ الزكاة * وقال عليه السلام انها اوساخ اموال الناس * واذا أخذ الفقير منك ما هو طهرة لك فله الفضل عليك * أرأيت لو كان فصاد افصدك مجاناً واخرج من باطنك الدم الذي تخشى ضرره في الحيوة الدنيا أكان الفضل لك ام له * فالذي يخرج من باطنك رذيلة البخل وضررها فى الحيوة الاخرة اولى بان تراه متفضلا ﴿ الثالث ﴾ ان تخرجه من أطيب أموالك وأجودها قال الله تعالى (ويجعلون لله ما يكرهون) وقال الله ﴿ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه ﴾ الآية * وقال

صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لايقبل الا الطيب يعنى الحلال * فان المقصود من هذا اظهار درجة الحب والانسان يؤثر الأحب اليه الا نفس دون الاخس ﴿ الرابع ﴾ ان تعطى بوجه طلق مستبشر وانت به فرحان غير مستكره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ سبق درهم مائة الف ﴾ وانما أراد مايعطيه عن بشاشة وطيبة نفس من أنفس ماله وأجوده فذلك افضل من مائة الف مع الكراهة ﴿ الخامس ﴾ ان تتخير لصدقتك محلا تزكو به الصدقة وهو المتقى العالم الذي يستعين بها على طاعة الله عز وجل وتقواه * أو الصالح المعيل ذو الرحم * فان لم يجتمع هذه الأوصاف * فتزكوا الصدقة بآحادها ايضا * ورعاية الصلاح اصل الأمور . فما الدنيا الا البلغة للعباد وزاد لهم الى المعاد . فليصرف الى المسافرين اليه المتخذين هذه الدار منزلا من منازل الطريق . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لاتأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي ﴾ *

﴿ الأصل الثالث فى الصيام ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه كل حسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به * وقال عليه السلام لكل شيء باب وباب العبادة الصوم * وانما كان الصوم مخصوصاً بهذه الخواص لأمرين ﴿ أحدهما ﴾ انه يرجع الى كف وهو عمل سرّ لا يطلع عليه أحد غير الله تعالى لا كالصلوة والزكاة وغيرهما ﴿ والثاني ﴾ انه قهر لعدو الله فان الشيطان هو العدو ولن يقوى العدو الا بواسطة الشهوات . والجوع يكسر جميع الشهوات التى هى آلة الشيطان — فلذلك قال عليه السلام ﴿ ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجارى الشيطان بالجوع ﴾ وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم * اذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنان . وغلقت أبواب النيران . وصفدت الشياطين * ونادى مناد * يا باغى الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ﴿ واعلم ﴾ ان الصوم بالاضافة الى مقداره على ثلاث درجات وبالاضافة الى اسراره على ثلاث

درجات * اما درجات مقداره فاقلها الاقتصار على شهر رمضان . وأعلاها صوم داود عليه السلام . وهو أن تصوم يوما وتفطر يوما * ففى الخبر الصحيح أن ذلك أفضل من صوم الدهر وأنه أفضل الصيام * وسره أن من صام الدهر صار الصوم له عادة فلا يحس بوقعه فى نفسه بالانكسار . وفى قلبه بالصفاء وفى شهواته بالضعف * فان النفس انما تتأثر بما يرد عليها لا بما مرنت عليه فلا يبعد هذا * فان الاطباء أيضاً ينهون عن اعتياد شرب الدواء * وقالوا من تعود ذلك لم ينتفع به اذا مرض اذ يألفه مزاجه فلا يتأثر به ﴿ واعلم ﴾ أن طب القلوب قريب من طب الابدان . وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما كان يسأله عن الصوم * فقال عليه السلام ﴿ صم يوما وأفطر يوما ﴾ فقال أريد أفضل من ذلك * فقال عليه السلام لا أفضل من ذلك — ولذلك لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا صام الدهر . فقال عليه السلام لا صام ولا أفطر * كما قالت عائشة رضى الله عنها لرجل كان يقرأ القرآن بهذرمة ان هذا ما قرأ القرآن ولا سكت

﴿ وأما الدرجة المتوسطة ﴾ فهو أن تصوم ثلث الدهر ومهما صمت الاثنين والخميس وأضفت اليه رمضان *فقد صمت من السنة أربعة أشهر وأربعة أيام . وهو زيادة على الثلث . لكن لابد أن ينكسر يوم من أيام التشريق* وترجع الزيادة الى ثلاثة أيام ويتصور أن ينكسر في العيدين يومان فتكون ثلاثة أيام . فترجع الزيادة الى يوم واحد فتأمل حسابه تعرفه *فلا ينبغي أن ينقص من هذ القدر صومك فانه خفيف على النفس وثوابه جزيل ﴿ وأما درجات اسراره ﴾ فثلاث ﴿ أدناها ﴾ أن يقتصر على الكف عن المفطرات ولا يكف جوارحه عن المكاره وذلك صوم العموم وهو قناعتهم بالاسم ﴿ الثانية ﴾ أن تضيف اليه كف الجوارح فتحفظ اللسان عن الغيبة والعين عن النظر بالزينة — وكذا سائر الاعضاء ﴿ الثالثة ﴾ أن تضيف اليه صيانة القلب عن الفكر والوسواس *وتجعله مقصوراً على ذكر الله عز وجل وذلك صوم خصوص الخصوص وهو الكمال . ثم للصيام خاتمة بها يكمل وهو أن يفطر على طعام حلال لا على شبهة وان لا يستكثر من اكل الحلال بحيث يتدارك ما فاته ضحوة

فيكون قد جمع بين اكلتين دفعة واحدة فتثقل معدته وتقوى شهوته ويبطل سر الصوم وفائدته * ويفضى الى التكاسل عن التهجد * وربما لم يستيقظ قبل الصبح * وكل ذلك خسران وربما لا توازيه فائدة الصوم *

﴿ الاصل الرابع في الحج ﴾

قال الله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) وقال صلى الله عليه وسلم (من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا) وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ بني الاسلام على خمس ﴾ الحديث * وللحج أعمال ظاهرة ذكرناها فى كتاب الاحياء * ونتنبهك الآن على آداب دقيقة * وأسرار باطنة ﴿ أما الآداب ﴾ فسبعة ﴿ الاول ﴾ ان ترتاد للطريق رفيقا صالحا ونفقة طيبة حلالا * فالزاد الحلال ينور القلب والرفيق الصالح يذكر الخير ويزجر عن الشر ﴿ الثاني ﴾ ان يخلي يده عن مال التجارة كيلا يتشعب فكره * وينقسم خاطره ولا يصفو للزيارة قصده ﴿ الثالث ﴾ ان يوسع فى الطريق بالطعام ويطيب الكلام مع الرفقاء والمكارى ﴿ الرابع ﴾ ان

يترك الرفث والجدال والتحدث بالفضول في أمر الدنيا بل يقصر لسانه بعد مهمات حاجاته على الفكر وتلاوة القرآن ﴿ الخامس ﴾ ان يركب راحلة دون المحمل و يكون رث الهيئة اشعث اغبر غير متزين بل على هيئة المساكين حتى لا يكتب في جملة المترفين ﴿ السادس ﴾ ان ينزل عن الدابة احيانا ترفيها للدابة وتطييبا لقلب المكاري * وتخفيفا للاعضاء بالتحرك ولا يحمل الدابة مالا تطيق بل يرفق بها ما أمكن ﴿ السابع ﴾ أن يكون طيب النفس بما انفق من نفقة و بما أصابه من تعب وخسران * وان يرى ذلك من آثار قبول الحج فيحتسب الثواب عليه ﴿ واما أسراره ﴾ فكثيرة نرمز منها الى فنين ﴿ أحدهما ﴾ انه وضع بدلا عن الرهبانية التي كانت في الملل كما ورد به الخبر * فجعل الله سبحانه الحج رهبانية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فشرف البيت العتيق واضافه الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده * وجعل مع ما حواليه حرما لبيته تفخيما لامره * وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره * ووضعه على امثال

الملوك ليقصده الزوار من كل فج عميق ضعفاء غبراء متواضعين لرب العالمين خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزهه عن ان يكتنفه بيت أو يحويه مكان ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم — ولذلك كلفهم اعمالا غريبة لا تناسب الطبع والعقل ليكون أقدامهم بحكم محض العبودية * وامتثال الامر من غير معاونة باعث آخر * وهذا سر عظيم في الاستعباد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم * لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا

﴿ الفن الثاني ﴾ ان هذا السفر وضع على مثال سفر الآخرة فليتذكر المريد بكل عمل من اعماله أمرا من أمور الآخرة موازياله فان فيه تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر المستبصر * فتذكر من أول سفرك عند وداعك اهلك وداع الاهل في سكرات الموت ومن مفارقة الوطن الخروج من الدنيا * ومن ركوب الجمل ركوب الجنازة * ومن الالتفاف في أثواب الاحرام الالتفاف في أثواب الكفن * ومن دخول البادية الى الميقات ما بين الخروج من الدنيا الى ميقات القيامة * ومن هول قطاع الطريق سؤال منكر ونكير * ومن سباع البوادى عقارب القبر وديدانه

ومن انفرادك عن اهلك واقا ربك وحشة القبر ووحدته ومن التلبية اجابة داعي الله عز وجل عند البعث — وكذلك في سائر الأعمال فان في كل عمل سرا وتحته رمزا * يتنبه له كل عبد بقدر استعداده للتنبه بصفاء قلبه وقصور همه على مهمات الدين *

﴿ الاصل الخامس في قراءة القرآن ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن * وقال عليه السلام لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار * وقال عليه السلام ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيمة من القرآن لا نبيّ ولا ملك ولا غيره * وقال عليه السلام يقول الله سبحانه من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسئلتي اعطيته أفضل ثواب الشاكرين ﴿ واعلم ﴾ ان لقراءة القرآن آدابا ظاهرة واسرارا باطنة * اما الآداب الظاهرة فثلاثة ﴿ الاول ﴾ أن تقرأه باحترام وتعظيم ولن تلزم الحرمة قلبك مالم تلزم هيئة الحرمة ظاهرك * وقد عرفت كيفية علاقة القلب بالجوارح ووجه ارتفاع الانوار منها اليه

﴿ وهيئة الحرمة ﴾ ان تجلس وانت على الطهارة سما كنا مطرقا مستقبل القبلة غير متكىء ولا متربع ولا نائم كما تجلس بين يدى المقرى وتقرأه بترتيل وتفخيم * وتؤدّه حرفا حرفا من غير هذرمة * قال ابن عباس رضى الله عنه لأن اقرء اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان أقرء البقرة وآل عمران تهذيرا ﴿ الثانى ﴾ ان تتشوق فى بعض الاوقات الى اقصى درجات الفضل فيه * وذلك بان تقرأه في الصلوة قائماً خصوصاً في المسجد وبالليل لان القلب فى الليل أصفى لانه افرغ * فانك وان خاوت بالنهار فتردد الخلق وحركاتهم في أشغالهم تحرك باطنك وتشغلك خصوصا عن ان كنت تتوقع ان تطلب شغلا من الاعمال والاشغال ﴿ وكيف ﴾ ما قرءته ولو مضطجعا من غير طهارة فلا تخلو عن الفضل . فانّ الله تعالى اثنى على الجميع * وقال (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) الآية ولكن ما ذكرناه فى زيادة الفضل * فان كنت من مريدي الآخرة فلا يسهل عليك ترك الفضل * وقد قال علي رضوان الله عليه

من قرء القرآن وهو قائم في الصلوة فله بكل حرف مائة حسنة * ومن قرء القرآن فى غير صلاة وهو على طهارة خمس وعشرون حسنة * ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات ﴿ الثالث ﴾ فى مقدار القراءة وله ثلاث درجات ﴿ ادناها ﴾ ان يختم فى الشهر مرة ﴿ وأقصاها ﴾ ان يختم فى ثلاثة أيام مرة * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ من قرء القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقه ﴾ ﴿ وأعدلها ﴾ أن يختم فى الاسبوع مرة * وأما الختم فى كل يوم فغير مستحب * واياك ان تتصرف بعقلك فتقول ما كان خيرا ونافعاً فكلما كان اكثر كان أنفع . فان عقلك لا يهتدى الى اسرار الأمور الالهية * وانما تتلقاها قوة النبوة * فعليك بالاتباع فان خواص الامور لا تدرك بالقياس او ماترى كيف نديت الى الصلوة ونهيت عنها جميع النهار وأمرت بتركها بعد الصبح وبعد العصر وعند الطلوع وعند الغروب والزوال — وذلك ينتهى الى قدر ثلث النهار وكيف وأثر الفساد ظاهر على قياسك هذا . فانه كقول القائل الدواء نافع للمريض فكلما كان اكثر كان أنفع * وانت تعلم

ان كثرة الدواء ربما يقتل ﴿ وأما الاسرار الباطنة ﴾ فخمسة ﴿ الاول ﴾ ان تستشعر في أول قرائتك عظمة الكلام باستشعار تعظيم المتكلم فتحضر في قلبك العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما من الملائكه والجن والانس والحيوانات والنباتات والمعادن وتتذكر ان الخالق لجميعها واحد * وان الكل في قبضة قدرته متردد بين فضله ورحمته وانك تريد ان تقرء كلامه وتنظر به الى صفة ذاته وتطالع جمال علمه وحكمته وتعلم انه كما لايمس ظاهر المصحف الا المطهرون بظواهرهم وهو محجوب عن غيرهم — فكذلك حقيقة معناه وباطنه محجوب عن باطن القلب الا اذا كان مطهرا من كل رجس وخبث من خبائث الباطن * وبمثل هذا التعظيم كان عكرمة اذا نشر المصحف ربما غشي عليه ويقول هذا كلام ربي هذا كلام ربي ﴿ واعلم ﴾ انه لولا ان أنوار كلامه العزيز وعظمته غشيت بكسوة الحروف لما أطاقت القوة البشرية سماعه لعظمته وسلطانه وسبحات نوره . ولولا تثبيت الله عز وجل موسى عليه السلام لما أطاق سماعه مجردا عن كسوة

الحروف والاصوات كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حتى صار دكادكا ﴿ الثاني ﴾ ان تقرأ بتدبر معانيه ان كنت من أهله وكل ما يجرى لسانك به في غفلة فاعده ولا تعده من عملك لان الترتيل في الظاهر للتمكن من التدبر * قال علي عليه السلام لاخير فى عبادة لافقه فيها * ولا فى قراءة لا تدبر فيها * واياك ان تصير مشغوفا بعدد الختمات على نفسك فلان تردد آية واحدة ليلة تتدبرها خير لك من ختمتين * فقد قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فرددها عشرين مرة * وقال ابو الدرداء رضي الله عنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة * فقام بآية يرددها ﴿ ان تعذبهم فانهم عبادك ﴾ وقام تميم الدارى ليلة بقوله سبحانه ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وقام سعيد بن جبير ليلة بقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون * ولعل الاليق بك ما قاله بعض العارفين اذ قال ﴿ لي ﴾ فى كل جمعة ختمة ولي في كل شهر ختمة . وفي كل سنة ختمة . ولي ختمة منذ ثلاثين سنه ما فرغت منها بعد — وذلك بحسب درجات

التدبر * فان القلب فى بعض الاوقات لايحتمل التدبر الطويل فليكن للتدبر الطويل ختمة خاصة ﴿ الثالث ﴾ ان تجتني فى تدبرك ثمار المعرفة من اغصانها وتقتبسها من أوطانها * ولا تطلب الترياق من حيث تطلب منه الجواهر * ولا الجواهر من حيث يطلب منه المسك والعود * فان لكل ثمرة غصنا * ولكل جوهر معدنا . وانما يتيسر لك هذا بان تعرف الأصناف العشرة التى حصرنا فيها أقسام القرآن * وهي عشرة معادن * ﴿فما يتعلق﴾ من القرآن بالله تعالى وبصفاته وافعاله فاقتبس منه معرفة الجلال والعظمة ﴿ وما يتعلق ﴾ بالارشاد الى الصراط المستقيم فاقتبس منه معرفة الرحمة والعطف والحكمة ﴿وما يتعلق﴾ باهلاك الاعداء فاقتبس منه معرفة العزة والاستغناء والقهر والتجبر ﴿ وما يتعلق ﴾ بأحوال الانبياء فاقتبس منه معرفة اللطف والنعمة والفضل والكرم — وكذلك في كل صنف ما يليق به * فلا تنظرن اليه بعين واحدة * وشرح ذلك يطول ﴿ الرابع ﴾ أن تتخلى عن موانع الفهم وهى الاكنة التى تمنع من الفهم * قال الله عزّ وجلّ ﴿ انا جعلنا على قلوبهم أكنة ان

يفقهوه وفي آذانهم وقرا ﴾ الآية . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء ﴾ ﴿ واعلم ﴾ ان معاني القرآن من جملة الملكوت . وانما حروفها من عالم الشهادة والاكنة التى يبتلى بها المتقى المتعطش الى الحق نوعان ﴿ اما ما ابتلي ﴾ به ضعيف الايمان من حجاب الشك والجحود ﴿ واما ما ابتلي ﴾ به المنهمك في الدنيا من حجاب الشهوات المستغرقة للقلب * فذلك جلي لا يخفى كونه مانعاً من فهم لطائف القرآن واقتباس أنواره فبها حجب أكثر الخلق ﴿ وأما العباد ﴾ المتجردون لطريق الله عزّ وجل يحجبون بنوعين آخرين ﴿ أحدهما ﴾ الوسواس الصارف للقلب الى التفكر في النية كيف كانت في الابتداء هل بقيت الان * وهل هو مخلص في الحال هذا ان كان في الصلاة أو الوسواس الصارف للهم الى تصحيح مخارج الحروف والتشكك فيها واعادتها لاجل ذلك * وهذا يجرى فى الصلاة وغيرها فكيف يطالع أسرار الملكوت قلب محجوب مصروف الى مطالعة الشفتين وكيفية انطباقهما واللسان والحنك

وكيفية انسلال الهواء من اصطكاكهما . وهو معنى تقطيع الحروف وتصحيحها ﴿ النوع الثانى ﴾ التقليد لظواهر معاني القرآن والجمود عليها — وذلك حجاب عظيم عن الفهم . ولست أعنى به التقليد الباطل كتقليد المبتدع بل التقليد الحق أيضاً فان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له درجات وله مبدء ظاهر وهو كالقشر والمثال وله غور باطن وهو كاللباب * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ان للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً ﴾ فالجامد على الظاهر الظانّ انه ليس وراءه مرقى يرتقى اليه كيف يتصور أن تنكشف له الاسرار * فقد كلف الخلق مثلا أن يعتقدوا أن الله تعالى يرى ولكن للرؤية ظاهر وسرّ * فمن اعتقد أن رؤية الله تعالى مناسبة للرؤية التى يألفها الانسان في هذا العالم كيف يتصور أن يتطلع على سرّ قوله تعالى لن ترانى * وكيف يفهم ان ذلك ممتنع فى هذه الحياة الدنيا بهذه العين الموقوفة على ملاحظة الجهات والاقطار * وكيف يدرك قوله لا تدركه الابصار مع قوله ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ﴾ ويكفيك هذا المثال الواحد * فلسنا نكشف لك

اكثر من هذا * ولسنا نقصد في هذا الاصل الا التلويحات لمبادي الاسرار تشويقا للمستعدين لها ﴿الخامس﴾ ان لا تقتصر على اقتباس الانوار * بل تضيف اليها اقتباس الاحوال والآثار وذلك ان لا تقرء آية الا وان تصير بصفتها * فتكون لك بحسب كل فهم حال ووجد * فعند ذكر الرحمة وعند المغفرة تستبشر كانك تطير من الفرح * وعند ذكر الغضب وشدة العقاب تتضاءل كانك تموت من الفزع * وعند ذكر الله واسمائه وعظمته تتطأطأ وتتصاغر حتى كانك تمحق من مشاهدة الجلال وعند ذكر الكفار ما يستحيل عليه من ولد وصاحبة تنكسر وتغض صوتك كانك تنطمس من الحياء * وكذلك في كل صنف من الاصناف العشرة * وذلك ايضا يطول * وليظهر اثر ذلك على جوارحك من بكاء عند الحزن * وعرق جبين عند الحياء * واقشعرار الجلد وارتعاد الفرايص عند الهيبة والجلال * وانبساط في الاعضاء واللسان والصوت عند الاستبشار وانقباض فيها عند الاستشعار * فاذا فعلت ذلك اشترك في نيل حظ القرآن جميع أعضائك * وفاضت آثار

القرآن على عوالمك الثلاثة * اعنى عالم الملكوت وعالم الجبروت وعالم الشهادة ﴿ واعلم ﴾ انك مركب من العوالم الثلاثة ففيك من كل عالم جزء ﴿ واعلم ﴾ ان محض أنوار المعرفة تفيض من عالم الملكوت الى سر القلب لانه أيضا من الملكوت * وأما آثارها من الخشية والخوف والسرور والهيبة وساير الاحوال فانها تهبط من عالم الجبروت * ومهبطها الصدر الذى هو عالم الجبروت * وهو عالم آخر من عوالمك كنينا عنه بالصدر كما كنينا عن الاول بالقلب لان عالم الجبروت بين عالم الملكوت وعالم الشهادة كما ان الصدر بين القلب والجوارح ﴿ وأما البكاء ﴾ والشهيق والاقشعرار وارتعاد الفرايص فتنزل من عالم الشهادة ومهبطها الجوارح لانها من عالم الشهادة * وما ادراك تفهم من القلب غير اللحم الصنوبرى الشكل * ومن الصدر غير العظم المحيط به * فانك لا تدرك من كل شىء الا غلافه وقشره * وما ابعدك عن درك الحقائق . فان هذا يوجد للبهائم والميت ولا تنزل عليه أنوار المعارف والعلوم ولا آثارها من الخشية والهيبة والسرور * فان اردت ان تستنشق شيأ من

روائح هـذه الاسرار وما أراك تريد فقد أخـذ الشيطان بمخنقك بحبال الشهوات . فعليك بباب التوحيد من أول كتاب التوكل ان أردته ﴿ واعـلم ﴾ ان القرآن كالشمس * وفيضان أسرار المعارف منـه على القلب كفيضان أنوار الشمس على الأرض * وسريان آثار الخوف والخشية والهيبة وسائر الاحوال منه على الصدر كسريان حرارة الشمس فى باطن الأرض تابعا لاشراق الأنوار * فان الخشية أثر نور المعرفة * وانما يخشى الله من عباده العلماء * فانتشار الحركات والتغيرات الى الجوارح من البكاء والعرق والاقشعرار والارتعـاد منبعث من آثار الخشية * وسائر الأحوال كحركة أجزاء الارض بتصاعد الابخرة والادخنة منها بتصعيد حرارة الشمس فالحركة تبع الحرارة * والحرارة تبع النور * والنور تبع وقوع المحاذات بين الارض والشمس * فاجتهد بان تحاذي بوجه قلبك شطر شمس القرآن وتستضيء بأنواره — كذلك فان لم تطق ذلك فاصغ الى النداء الوارد من جانب الطور الأيمن * فان آنست من جوانبه نارا فخذ منه قبسا واشعل منه سراجاً * فان كان

زيتك صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار * فاذا مسته النار انبعث منه الضياء ووجدت على النار هدى * وقام فى حقك مقام الشمس المنتشرة الاشراق والضياء *

﴿ الاصل السادس ﴾

ذكر الله عز وجل في كل حال * قال الله سبحانه ﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن اعطاء المال سخاء * وقال صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم واذكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب * وخير لكم من أن تلقوا اعدائكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا أعناقكم * قالوا وما ذاك يارسول الله * فقال ذكر الله * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ سبق المفردون سبق المفردون ﴾ فقيل ومن هم يارسول الله فقال المستهترون بذكر الله وضع ذكر الله عنهم او زارهم فوردوا القيامة خفافا ﴿ واعلم ﴾ انه قد انكشف لارباب

البصائر ان الذكر أفضل الاعمال ولكن له أيضا قشور ثلاثة بعضها أقرب الى اللب من بعض * وله لب وراء القشور الثلاثة وانما فضل القشور لكونها طريقا اليه ﴿ فالقشر الاعلى منه ﴾ ذكر اللسان فقط ﴿ والثاني ﴾ القلب اذا كان القلب يحتاج الى موافقته حتى يحضر مع الذكر * ولو ترك وطبعه لاسترسل في أودية الافكار ﴿ والثالث ﴾ ان يستمكن الذكر من القلب ويستولى عليه بحيث يحتاج الى تكلف في صرفه عنه الى غيره كما احتيج في الثاني الى تكلف في قرار معه ودوامه عليه ﴿ والرابع وهو اللباب ﴾ ان يستمكن المذكور من القلب وينمحي الذكر ويخفى وهو اللباب المطلوب * وذلك بان لايلتفت الى الذكر ولا الى القلب بل يستغرق المذكور جملته * ومهما ظهر له فى اثناء ذلك التفات الى الذكر فذلك حجاب شاغل * وهذه الحالة التي يعبر عنها العارفون بالفناء * وذلك بان يفنى عن نفسه حتى لايحس بشئ من ظواهر جوارحه * ولا من الاشياء الخارجة عنه ولا من العوارض الباطنة فيه بل يغيب عن جميع ذلك

ويغيب عنه جميع ذلك ذاهبا الى ربه اولا * ثم ذاهبا فيه آخراً * وان خطر له في اثناء ذلك انه فني عن نفسه بالكلية فذلك شوب وكدورة . بل الكمال في ان يفني عن نفسه ويفنى عن الفناء ايضا * فان الفناء عن الفناء غاية الفناء — وهذا قد يظنه الفقيه الرسمي انه طامات غير معقولة * وليس كذلك بل هذه الحالة لهم بالاضافة الى محبوبهم كحالتك في اكثر الاحوال بالاضافة الى محبوبك من جاه او مال او معشوق فانك قد تصير مستغرقا لشدة الغضب بالفكر في عدوك ولشدة التفكر في معشوقك حتى لا يكون فيك متسع لشيء أصلا * فتخاطب فلا تفهم . ويجتاز بين يديك غيرك فلا تراه وعيناك مفتوحتان . ويتكلم عندك فلا تسمع وما باذنيك صمم * وانت في هذا الاستغراق غافل عن كل شيء وعن الاستغراق ايضا . فان الملتفت الى الاستغراق معرض عن المستغرق به * وانما سموا هذه الحالة فناء وان كان الشخص والظل باقيا لان الاشخاص والاظلال بل سائر المحسوسات ليس لها حقيقة الوجود بل الوجود الحقيقي

لعالم الامر والملكوت * والقلب من عالم الامر * قال الله تعالى ﴿ قل الروح من امر ربي ﴾ والقوالب من عالم الخلق واعنى بالقلب اللطيفة الذاكرة العارفة التي هي مهبط الأنوار الالهية دون القلب الظاهر * فان ذلك من عوالم الخلق فلا يفهم من هـذا اشارة الى قـدم الروح وحـدوث القالب بل هما جميعا حادثان * وانما اعنى بالخلق ما تقع عليه المساحة والتقدير وهي الاجسام وصفاتها * واعنى بعالم الامر مالا يتطرق اليـه التقدير * والعالم الجسماني ليس له وجود حقيقي بل هو من ذلك العالم كالظل من الاجسام * وليس لظل الانسان حقيقة الانسان . وليس للشخص حقيقة الوجود بل هو ظل الحقيقة والكل من صنع الله تعالى * قال الله تعالى ﴿ ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها ﴾ وظلالهم بالغدو والاصال وسجود عالم الامر طوع لله * وسجود الظلال كره * وتحته سر بل اسرار تحرك اوائلها سلسلة المجانين الحمقى فضلا عن اواخرها فلنتجاوزها * فقد افهمناك ماارادوه بالفناء * فدع عنك الغيبة والتكذيب بمالم تحط

بعلمه كما قال تعالى ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ وقال تعالى ﴿ واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ﴾ فاذا فهمت الفناء في المذكور ﴿ فاعلم ﴾ انه اول الطريق * وهو الذهاب الى الله عز وجل * وانما الهدى بعده اعني بالهدى هدى الله كما قال الخليل صلوات الله عليه ﴿ اني ذاهب الى ربي سيهدين ﴾ فاول الامر ذهاب الى الله * ثم ذهاب في الله — وذلك هو الفناء والاستغراق به * ولكن هذا الاستغراق اولا يكون كبرق خاطف قل ما يثبت ويدوم * فان دام ذلك صارت عادة راسخة وهيئة ثابتة عرج به الى العالم الاعلى وطالع الوجود الحقيقي الاصفى * وانطبع له نقش الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت * واول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة وارواح الانبياء والاولياء في صورة جميلة يفيض اليه بواسطتها بعض الحقائق — وذلك في البداية الى ان تعلو درجته عن المثال . فيكاشف بصريح الحق في كل شيء * فاذا رد الى هذا العالم المجازي الذي هو كالظلال * نظر الى الخلق نظر مترحم عليهم لحرمانهم عن مطالعة جمال حظيرة القدس

وتعجب منهم فى قناعتهم بالظلال وانخداعهم بعالم الغرور وعالم الخيال فيكون معهم حاضرا بشخصه غائبا بقلبه متعجبا . هو من حضورهم ويتعجبون هم من غيبته * فهذه ثمرة لباب الذكر وانما مبدءها ذكر اللسان * ثم ذكر القلب تكلفا * ثم ذكر القلب طبعا * ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر * وهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل ﴾ بل سر قوله ﴿يفضل الذكر الخفي على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفا ﴾ ﴿ واعلم ﴾ ان كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الحفظة فان شعورهم تقارن شعورك وفيه سر حتى اذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك في المذكور بالكلية . فيغيب ذكرك عن شعور الحفظة وما دام القلب يشعر بالذكر ويلتفت اليه فهو معرض عن الله عز وجل * وغير منفك عن شرك خفي حتى تصير مستغرقا بالواحد الحق * فذلك هو التوحيد — وكذلك القول فى المعرفة * فمن طلب المعرفة للمعرفة فقد قال بالثاني * ومن وجدها كمثل ان لا يجدها بل يجد المعروف بها فهو

الذي استمكن من حقيقة الوصال * وحل بحبوحة حظيرة القدس * فان قلت فلم اختصت هذه المكاشفات بحال الفناء ﴿ فاعلم ﴾ ان هذه قصة يطول فيها نظر الناظر — وذلك اذا تأملت لم تقصر عن ان تدرك كون الحواس وعوارض النفس وشهواتها جاذبة الى هذا العالم المحسوس * وهو عالم الزور والغرور — ولذلك يكشف صريح الحق بالموت لبطلان سلطان الحواس والخيالات المولية بوجه القلب الى عالم السفل * فان قصر عنك سلطان الحواس بالنوم طوالت بشيء من الغيب على قدر استعدادك وقبولك وهمتك * ولكن بمثال يحتاج الى التعبير * وما عندى انك لم تصادف من نفسك رؤيا صادقة اطلعت بها على امر مستقبل * لكن الخيال لا يفتر في النوم وان ركدت الحواس * فلذلك يضعف الاطلاع ولا يخلو من شوب المثال * واما الفناء فعبارة عن حالة تركد فيها الحواس ولا تشتغل * ويسكن فيها الخيال ولا يشوش * فان بقيت في الخيال بقية مغلوبة لم يؤثر الا فى محاكات مايتجلى من عالم القدس حتى يتمثل الانبياء والملائكة والارواح

المقدسة في قوالب الخيال * فهذه امور نبهت عليها لتكون متشوقا الى ان تصير من اهل الذوق لها * فان لم تكن فمن اهل العلم بها * فان لم تكن فمن اهل الايمان بها ﴿ ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ﴾ واياك ان تكون من المنكرين لها فتلقى العذاب الشديد اذا كوشفت بالحق عند سكرات الموت الذي كنت منه تحيد وقيل لك لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد ﴿ واعلم ﴾ ان الايمان والعلم والذوق ثلاث درجات متباعدة * فان العنين مثلا يتصور ان يصدق بوجود شهوة الوقاع لغيره بان يقبل ذلك ممن يحسن ظنه به ولا يتهمه بالكذب — وذلك ايمان ويتصور ان يعلم بالبرهان وجوده لغيره * وهو علم * ومأخذه قياس ان ينظر الى شهوته للطعام مثلا فيقيس بها شهوة الوقاع * وكل ذلك بعيد عن أدراك حقيقة الشهوة بوجودها له — وكذلك المرض يعرفه العامي الصحيح ويؤمن به * ويعرفه الطبيب الصحيح بالبرهان وهو علم * ومن لم يصر مريضا لم يحصل له الذوق فكذلك

القول فى الفناء في التوحيد ﴿ فالذوق ﴾ مشاهدة ﴿ والعلم ﴾ قياس ﴿ والايمان ﴾ قبول بحسن الظن مع الانفكاك عن التهمة * فاجتهد أن تصير من أهل المشاهدة * فليس الخبر كالمعاينة * فان قلت فقد عظمت أمر الذكر فهو أفضل ام قراءة القرآن ﴿ فاعلم ﴾ ان قراءة القرآن أفضل للخلق كلهم الا للذاهب الى الله عز وجل وهو أفضل للذاهب الى الله فى جميع أحوال بدايته وفى بعض احواله في نهايته * فان القرآن هو المشتمل على صنوف المعارف والاحوال والارشاد الى الطريق * فما دام العبد مفتقرا الى تهذيب الاخلاق وتحصيل المعارف * فالقرآن أولى به . فان جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه بحيث يرتجى له ان يفضى به ذلك الى الاستغراق * فمداومة الذكر اولى به فان القرآن يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة * والمريد الذاهب الى الله تعالى لا ينبغي أن يلتفت الى الجنة ورياضها * بل ينبغي أن يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا واحدا حتى يدرك درجة الفناء والاستغراق — فلذلك قال الله عز وجل (ولذكر الله أكبر) وكذلك من ينتهي الى

درجة الاستغراق ولا يدوم ولا يثبت عليه فاذا ردّ الى نفسه فقد ينفعه تلاوة القرآن * وهذه حالة نادرة عزيزة كالكبريت الأحمر يتحدث به ولا يوجد * فتكون تلاوة القرآن أفضل مطلقا لانه أفضل فى كل حال الا في حال من شغله المتكلم عن الكلام * اذلباب القرآن معرفة المتكلم بالقرآن ومعرفة جماله والاستغراق به * والقرآن سائق اليه وهاد نحوه ومن أشرف على المقصد لم يلتفت الى الطريق * فان قلت فايّ الاذكار أفضل ﴿ فاعلم ﴾ ان الأفضل كما ذكرناه استيلاء المذكور على القلب وهو شيء واحد لا كثرة فيه حتى يختار افضله * وذلك عين الجمع والتوحيد * وانما التفرقة والكثرة قبل ذلك فذلك مادمت فى مقام الذكر باللسان والقلب * وعند هذا قد ينقسم الذكر الى الافضل وغير الافضل * وفضله بحسب الصفات التي يعبر عنها بالاذكار * والصفات والاسماء الواردة في حق الله سبحانه تنقسم الى ماهو حقيقة في حق العباد ومأولة في حقه سبحانه كالصبور والشكور والرحيم والمنتقم والى ما هو حقيقة فى حقه سبحانه * واذا استعمل في حق

غيره كان مجازا* فمن أفضل الاذكار ﴿لا اله الا الله الحي القيوم﴾ فان فيه اسم الله الأعظم اذ قال صلى الله عليه وسلم اسم الله الاعظم في آية الكرسى واول آل عمران * ولا يشتركان الا في هذا * وله سرّ يدق عن فهمك ذكره والقدر الذى يمكن الرمز اليه ان قولك (لا اله الا الله) يشعر بالتوحيد * ومعنى الوحدانية في الذات والربية حقيقى فى حق الله عز وجل غير مأوّل بل هو في حق غيره مجاز ومأول — وكذلك ﴿ الحي ﴾ فان معنى الحي هو الذى يشعر بذاته و يعلم ذاته* والميت هو الذى لا خبر له من ذاته — وهذا أيضا حقيقي لله تعالى غير مأول ﴿والقيوم﴾ يشعر بكونه قائما بذاته وان كل شىء قوامه به — وهذا أيضا حقيقي لله عز وجل غير مأوّل ولا يوجد لغيره وماعداها من الاسماء الدالة على الافعال كالرحيم والمقسط والعدل وغيره فهو دون مايدل على الصفات لان مصادر الافعال هي الصفات والصفات أصل والافعال تبع * وما عداها من الصفات التى تدل على القدرة والعلم والارادة والكلام والسمع والبصر» فذلك مما يظن ان الثابت منها لله

عز وجل مفهوم من ظواهرها * وهيهات فان المفهوم من ظواهرها امور تناسب صفات الانسان وكلامه وقدرته وعلمه وسمعه وبصره * بل لها حقايق يستحيل ثبوتها للانسان فيستخرج من هذه الاسامي بنوع من التأويل * فهذا ينبهك على ما يحتمله فهمك من اختصاص هذه الكلمات بكونها أعظم * ويقرب منه قولك ﴿سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر﴾ لان سبحان الله للتقديس وهو حقيقي فى حقه فان القدس الحقيقى لا يتصور الاله تعالى وقولك ﴿الحمد لله﴾ يشعر باضافة النعم كلها اليه وهو حقيقي اذ هو المتفرد بالافعال كلها تفردا حقيقيا بلا تأويل * وهو تبارك وتعالى المستوجب الحمد وحده * اذ لا شركة لاحد معه فى فعله اصلا كما لاشركة للقلم مع الكاتب في استحقاق المحمدة عند حسن الخطّ * ﴿واعلم﴾ ان كل من سواه ممن ترى منه نعمة فهو تعالى مسخر له كالقلم فهذا مثال ينبهك على تفرده باستحقاق الحمد * وقولك ﴿لا اله الا الله﴾ فقد عرفت انه التوحيد الحقيقي * وقولك ﴿الله اكبر﴾ فليس

المعنى به انه أكبر من غيره اذ ليس معه سبحانه غيره حتى يقال اكبر منه * بل كل ما سواه فهو نور من أنوار قدرته * وليس لنور الشمس مع الشمس رتبة المعيـة حتى يقال انها أكبر منه بل رتبة التبعية بل معناه انه عز وجل * اكبر من أن ينال بالحواس أو يدرك جلاله بالعقل والقياس * بل اكبر من أن يدرك كنه جلاله غـيره * بل أكبر من أن يعـرفه غيره * فانه لا يعرف الله تبارك وتعالى الا الله * فان منتهى معرفة عباده ان يعرفوا انه يستحيل منهم معـرفته الحقيقية * ولا يعرف ذلك أيضا بكماله الا نبي او صديق ﴿ اما النبي ﴾ فيعبر عنه ويقول ﴿ لا أحصي ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك ﴾ وأما الصديق فيقول ﴿ العجز عن درك الادراك ادراك ﴾ فان تشوقت الى زيادة تحقيق في هذا المعنى واستنكرت قولى لا يعرف الله الا الله * فاطلب معرفة حقيقته بالبرهان من كتاب ﴿ المقصد الاقصى في معاني اسماء الله الحسنى ﴾ ويكفيك الآن هذا القدر من الرموز الى اسرار الذكر وفضل الاذكار منها *

﴿ الأصل السابع في طلب الحلال ﴾

قال الله سبحانه ﴿ كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴾ والحرام خبيث وليس بطيب * فقد قرن عز وجل أكل الطيبات بالعبادات * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ طلب الحلال فريضة على كل مسلم بعد الفريضة ﴾ أي بعد فريضة الايمان والصلوة * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ من أكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ﴾ وفى رواية اخرى زهده الله فى الدنيا * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل ﴾ فالصرف النافلة * والعدل الفريضة * وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته مادام عليه منه شيء * وقال عبد الله ابن عمر رضي الله عنه لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار لم يقبل الله ذلك منكم الا بورع حاجز * وقيل العبادة مع أكل الحرام كالبنيان على السرقين *

فصل

اعلم ان طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفية القلب وتنويره وتأكيد استعداده لقبول أنوار المعرفة * وفيه سر لا يحتمل هذا الكتاب ذكره * ولكن ينبغي ان تفهم ان درجات الورع أربعة ﴿ الدرجة الاولى ﴾ هي التي يجب الفسق بافتحامها * وتزول العدالة بزوالها * وهى التى يحرمها فتوى الفقهاء ﴿ الثانية ﴾ ورع الصالحين وهو الحذر عما يتطرق اليه احتمال التحريم * وان افتى المفتى بحله بناء على الظاهر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ دع ما يريبك الى مالا يريبك ﴾ ﴿ الثالثة ﴾ ورع المتقين قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذارا ومخافة مما به بأس ﴾ وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع فى الحرام * ومن هذا الاصل كان بعضهم اذا استحق ماية درهم اقتصر على تسعة وتسعين * ويترك الواحد حاجزا بينه وبين النار لخوف الزيادة * وكان بعضهم يأخذ ما يأخذ بنقصان حبة ويعطي

مايعطي بزيادة حبة — ولذلك اخذ عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه أنفه حذرا من ريح المسك لبيت المال كان يوزن بين يديه * وقال هل ينتفع الا بريحه * ومن ذلك ان يتورع عن الزينة واكل الشهوات خيفة من ان تغلب النفس فتدعوه الى الشهوات المحظورة * ومن ذلك ترك النظر الى تجمل اهل الدنيا فانه يحرك دواعى الرغبة فى الدنيا — ولذلك قال الله تعالى (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) ولذلك قال عيسى ابن مريم عليه السلام لاتنظروا الى أموال أهل الدنيا فان بريق أموالهم يذهب بحلاوة ايمانكم — ولذلك قال السلف من رق ثوبه رق دينه فالحلال الطلق الطيب كل حلال انفك عن مثل هذه المخافة ولم يوجد فيها ﴿ الرابعة ﴾ ورع الصديقين وهو الحذر عن كل مالا يراد بتناوله القوة على طاعة الله تعالى أذا كان قد يتطرق الى بعض اسبابها معصية . فمن ذلك ماحكي ان ذا النون المصري كان محبوسا جائعا * فبعثت اليه امرأة صالحة من طيب مالها طعاما على يد السجان * فلم يأكل منه واعتذر أنه جاءني على

طبق ظالم أى يد السجان * ومن ذلك ان بشر الحافى كان لا يشرب الماء من الانهار التى حفرها السلاطين * وأطفأ بعضهم سراجا اشعله غلامه من بيت ظالم * وشرب بعضهم دواء فاشارت اليه امرأته بالمشى والتردد * فقال هذه مشية لا أعرف لها وجها * وانا احاسب نفسي على جميع حركاتي — وهذه رتبة أقوام وفوا بقوله تعالى (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) فعدوا كل مالم يكن لله تعالى حراما * وليس هذا من عشك وعش ناصحك * فادرج واجتهد ان تفيء بورع العدول الذي تفتى به الفقهاء * نعم ينبغى ان تضيف اليه شيئين ﴿ احدهما ﴾ ان تحذر عن مواقع غرورهم ولا تلتفت الى قولهم (من وهب في آخر السنة ماله زوجته واستوهب منها مالها سقطت الزكاة عنهما) فانهم ان عنوا به ان السلطان لا يطالبهم بالزكاة لان مطمح نظره ظاهر الملك فهو صدق ودرجة الفقهاء وفتواهم ذكر ما يتعلق بالظواهر فيحكمون بالبراءة عن الزكاة اذا سقط طلب الساعي ويحكمون بصحة الصلوة اذا امتنع القتل على السلطان بجريان صورة الصلوة * اذ ليس بايديهم من القوانين الا القانون

الذى يستعمله السلطان فى السياسة لينتظم امر المعيشة الدنيوية التي هي منزل من منازل الطريق كما سبق ﴿ واما انت ﴾ اذا كنت تنظر فيما ينفعك غدا عند جبار الجبابرة وسلطان السلاطين فلا تلتفت الى هذا ﴿ واعلم ﴾ ان مقصود الزكاة ازالة رذيلة البخل فانه مهلك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ﴾ وهبة مال الزكاة لاجل درء الزكاة يجعل الشح مطاعا فانه يصير مطاعا باجابته الى مايقتضيه * وقبل هذا لم يكن مطاعا فكيف يكون ذلك منجيا * وكذلك من يسيء معاشرة زوجته حتى تنفك له من المهر فلا يحل له المهر بينه وبين الله عز وجل وان كان الفقيه يفتي بسقوط المهر وصحة الابراء لان الله تعالى قال ﴿ فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴾ وليس هذا طيبة النفس بل طيبة القلب * والفقيه لايميز بين الأمرين لان شغفه بقطع الخصومات الظاهرة لاغير ﴿ والحجامة ﴾ وشرب الدواء البشيع لاتطيب به النفس بل يطيب به القلب ـ وكذلك كل مايأباه

الطبع ويريده العقل لمصلحة البدن فى العاقبة * وهذا باب طويل * واصله ان لاتستحل مال غيرك الا برضاء مطلق صاف * وينبغى ان لاتأكل من السؤال * فان سألت فاحذر ان تسأل على الملأ فربما يعطى بالحياء ـ وذلك ليس مقرونا بالرضاء * فان المستحي يوثر الم ازالة الملك على الم الحياء * ولا فرق بين ان تأخذ ماله بضرب ظاهره بالسوط * وبين ان تأخذه بضرب باطنه بسوط الحياء * فالكل مصادرة واحذر ايضا ان يعطيك بالدين * وذلك بان يعطيك لظنه انك ورع تقي فتاكل بالدين * ويكون من شرط حله ان لايكون فى باطنك مالوا طلع عليه المعطى لامتنع من الاعطاء * فلافرق بين من يأخذ بالتصوف والتقوى * وليس هو متصفا به باطنا وبين من يزعم انه علوي ليعطى وهو كاذب * وكل ذلك حرام عند ذوي البصائر وان افتى الفقيه بالحل بناء على الظاهر ﴿ الفن الثاني ﴾ ان تراجع قلبك وان افتوك فان الاثم حزاز القلوب فالذي يضرك ماحاك فى قلبك ـ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان افتوك وافتوك * وهذا السر

طويل ذكره * ولكن اعلم على الجملة ان المحذور من الحرام اظلام القلب والمطلوب من الحلال تنويره — وذلك يتشعب من اعتقادك لا من نفس المعتقد * فمن وطيء امرأة على ظن انها اجنبية * فاذا هي منكوحته حصل اظلام القلب * ولو وطيء اجنبية على ظن انها زوجته لم يحصل — وكذلك في النجاسات والطهارات المؤثرة في تنوير القلب وهمك واعتقادك فما أمرت بان تصلي وثوبك طاهر بل ان تصلي وانت تعتقد انه طاهر فاستشعار الطهارة مؤثر في اشراق القلب وان لم يكن على وفق الحال — ولذلك نقول ان من صلى ثم تذكر انه كان معه نجاسة فليس عليه الاعادة على الاصح لانه صلى الله عليه وسلم خلع نعليه في اثناء صلاته لما اخبره جبريل عليه السلام بان عليهما قذرا واستمر فيها * ولذلك يشدد الامر على الموسوس فانه مالم يطمئن قلبه باعتقاده الطهارة فيجب عليه الاستقصاء والمعاودة * وأولئك قوم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم * فهلكوا باستقصائهم كما قال عليه السلام ﴿هلك المتنطعون﴾ — فكذلك في الحلال انت متعبد بما يطمئن اليه

قلبك لا بما يفتي به المفتي فاستفت قلبك *

فصل

اياك ان تشدد على نفسك فتقول اموال الدنيا كلها حرام * وقد اخبثتها الأيدي العادية * والمعاملات الفاسدة فاقنع بالحشيش مترهباً او تتناول من الجميع متوسعا * لا افصل فيه بين حلال وحرام بل اعلم قطعا ان الحلال بين والحرام بين * وبينهما امور متشابهات — كذلك كان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكذلك يكون ابد الدهر * فاستمد من السر الذي ذكرناه فانك غير متعبد بما هو في نفسه حلال بل بما هو في اعتقادك حلال لا تعرف سببا ظاهرا في تحريمه فقد توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشرك وتوضأ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية * ولو عطشوا لشربوا منه * وشرب الماء النجس حرام ولكن استصحبوا يقين الطهارة ولم يتركوها لتوهم النجاسة ﴿ وكذلك ﴾ كل مال صادفته في يد رجل مجهول عندك حاله * فلك ان تشتري منه وتأكل من ضيافته * تحسينا للظن بالمسلم * فان الاصل

ان مافي يده فهو حلال * وما تصادفه في يد رجل عرفته بالصلاح فهو اولى بان تعتقده حلالا ﴿ نعم ﴾ يجب الحذر مما تصادفه فى يد سلطان ظالم او رجل عرفته بالرّبا او بيع الخمر فيجب الحذر منه حتى تسئل وتستقصى وتعرف انه من اين حصل له * فان ظهر لك جهة حصوله وانه حلال فلك اخذه والا فلا * فالاعتماد على العلامة الظاهرة وهى قرينة حاله * وهذا اذا كان اكثر امواله كذلك * فان كان اكثرها حلالا فلك ان تأكل منه وان تركته فذلك ورع * فقد كتب بعض وكلاء ابن المبارك من البصرة اليه * يسئله عن معاملة رجل يعامل السلطان * فقال ان كان لا يعامل غير السلطان فلا تعامله * وان كان يعامل غيره ايضا فعامله * وبالجملة الناس في حقك ستة اقسام ﴿ احدها ﴾ ان يكون مجهولا فكل من ماله والحذر ليس بواجب بل هو محض الورع ﴿ الثاني ﴾ ان تعرفه بالصلاح فكل منه ولا تتورع * فالورع فيه وسوسة * فان ادى الى الاذى والايحاش فهو معصية وحرام لما فيه من الايذاء * ولما فيه من سوء الظن بالرجل الصالح ﴿ الثالث ﴾ ان تعرفه بالظلم

والربا حتي علمت ان كل ماله او اكثره حرام كالسلاطين الظلمة وغيرهم فمالهم حرام ﴿ الرابع ﴾ ان تعرف ان اكثر امواله حلال ولكن لايخلو عن حرام كرجل له تجارة وميراث وهو مع هذا فى عمل السلطان فلك الاخذ بالاغلب لكن الترك من الورع المهم ﴿ الخامس ﴾ ان يكون مجهولا عندك لكن ترى عليه علامة الظلم كالقباء والقلنسوة وهيئة الظلمة * فهذه علامة ظاهرة توجب الحذر فلا تأكل من ماله الا بعد التفتيش ﴿ السادس ﴾ ان ترى عليه علامة الفسق لا علامة الظلم كطول الشارب وانقسام شعر الرأس قزعا او رأيته يشتم غيره او ينظر الى امرأة * فان علمت له مالا موروثا او تجارة لم يحرم ماله بذلك * وان كان امره مجهولا عندك فهذا فيه خطر لان علامة الفسق أضعف دلالة من علامة الظلم ولكن الاظهر عندي انه لا يحرم ماله لان ظاهر اليد والاسلام يدل على الملك دلالة اظهر من دلالة هذه العلامات على التحريم * وليست هذه الدلالة اقوى من دلالة النصرانية والمجوسية على نجاسة الماء * ولم

يلتفت اليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمر رضي الله عنه * اما علامة الظلم فتضاهى ماذا رأينا ظبية تبول في ماء ثم وجدنا الماء متغيرا فامكن ان يكون من طول المكث وامكن ان يكون من البول فانه يجب اجتنابه احالة على السبب الظاهر * ثم وراء ذلك كله عليه ان يستفتي قلبه * فاذا وجد في قلبه حزازة فليجتنبه * فالاثم حزازة القلوب وحكاكات الصدور * ولكن ههنا دقيقة يغفل عنها اهل الورع * وهى انه حيث يكون الترك من الورع او من حزازة فى النفس فلا يجوز الترك والسؤال بحيث يؤذى فالمجهول اذا قدم اليك طعاما فان سألته انه من اين استوحش وتأذى * والايذاء حرام * وسوء الظن حرام * وان سألته عن غيره بحيث يدري زاد الايذاء * وان سألت بحيث لا يدري فقد تجسست وأسأت الظن * وبعض الظن اثم وتساهلت بالغيبة والتهمة وكل ذلك حرام * وترك الورع ليس بحرام * فليس لك الا التلطف بالترك فان لم يكن الا بايذاء * فعليك ان تأكل فان طيبة قلب المسلم وصيانته عن الايذاء

اهم من الورع * فاياك أن تكون من القراء المغرورين الذين لا يدركون دقائق الورع ﴿ واعلم ﴾ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل من صدقة بريرة ولم يسئل عن المتصدق * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تحمل اليه الهدايا فيقبل ولا يسئل * نعم سئل في اول قدومه الى المدينة عما حمل اليه هل هو صدقة او هدية لان ذلك ليس فيه ايذاء ولان قرينة الحال كانت تقتضى الامكان في الصدقة والهدية على وتيرة واحدة وكان صلى الله عليه وسلم يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسئل ولم ينقل السؤال الا نادرا في محل الريبة * فان قلت فان وقع طعام حرام فى سوق فهل يشترى من ذلك السوق ﴿ فاقول ﴾ ان تحققت ان الحرام هو الاكثر فلا تشتر الا بعد التفتيش * وان علمت ان الحرام كثير وليس بالاكثر فلك الشراء * والتفتيش من الورع * ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يشترون في اسفارهم من الاسواق مع علمهم بان فيهم اهل الربا والغصب واهل الغلول فى الغنيمة * وكانوا لا يتركون المعاملة معهم * وهذا

الباب يستدعي شرحا طويلا * فان رغبت فيه فطالع كتاب الحلال والحرام من كتب الاحياء لتشهد عند مطالعته بانه لم يصنف في فنه مثله في التحقيق والتحصيل والاحاطة بجميع التفاصيل

﴿ الاصل الثامن في القيام بحقوق المسلمين ﴾

وحسن الصحبة معهم وهو ركن من أركان الدين اذ الدين معناه السفر الى الله تعالى * ومن أركان السفر حسن الصحبة في منازل السفر مع المسافرين والخلق كلهم سفر يسير بهم العمر سير السفينة بركابها ﴿ واعلم ﴾ ان الانسان في الدنيا اما أن يكون وحده أو يكون مع خواصه من اهل وولد وقريب وجار أو يكون مع عموم الخلق * فهذه ثلاثة أحوال وعليه حسن الصحبة واداء الحقوق في جميع هذه الاحوال ﴿ الحالة الاولى ﴾ ان يكون وحده وليعلم انه بنفسه عالم وان باطنه يشتمل على اصناف من الخلق مختلفي الطباع والاخلاق فان لم يحسن صحبتهم ولم يقم بحقوقهم هلك * واصناف جنود الباطن كثيرة ﴿ وما يعلم جنود ربك الا هو ﴾ وقد استقصينا بعض ذلك في كتاب عجايب القلب * ونذكر الآن أمراء الجنود

ورؤسها *فنقول فيك شهوة تجذب بها الى نفسك النافع وغضب تدفع به عن نفسك الضار *وعقل تدبر به الامور وترعى به الرعية *فانت باعتبار غضبك كلب وباعتبار شهوتك بهيمة كالفرس مثلا *وباعتبار عقلك ملك وانت مأمور بالعدل بينهم والقيام بحقوقهم والاستعانة بهم لتقتنص بمعونتهم سعادة الابد *فان رضت الفرس (١) وادبت الكلب وسخرتهما للملك تيسر لك الظفر بما طلبت * وان سخرت العقل فى استنباط الحيل لتحصيل ما يتقاضاه الكلب بغضبه (٢) ولحاجه * والفرس بحرصه وجشعه اوفيت على العطب (٣) فضلا عن ادراك مقصود الطلب فصرت منكوسا معكوسا فاجرا ظالما لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه * ولو رأيت شخصاً جعل فى طاعته ملك وكلب وخنزير فلم يزل يضطر الملك الى ان يسجد للخنزير والكلب *فهل تراه ظالما مستوجبا اللعنة * ولو كوشفت بحالك عند منامك او عند فنائك عن نفسك كما

---

(١) من الرياضة يقال راض المهر اذا ذلله (٢) وفى نسخة بعضه

(٣) عطب عطباً من باب تعب أى هلك

وصفناه في الاستغراق بالله لرأيت كل من اطاع شهوته وغضبه ساجدا لكلب وخنزير اذ لم يكن الكلب كلبا لصورته بل لمعناه * وكذلك ترى نفسك بعد الموت لان المعاني في عالم الآخرة تستتبع الصور ولا تتبعها فيتمثل كل شيء بصورة توازي معناه فيحشر المتكبرون في صغر الذر يطؤهم من اقبل وادبر * والمتواضعون اعزاء ﴿ واما هذا العالم ﴾ فعالم التلبيس فقد يودع معنى الخنزير والكلب في صورة الانسان فلا تغتر به فان ذلك ينكشف يوم تبلى السرائر * فعليك ان تحسن صحبة رفقائك الثلاثة فتكسر شره الشهوة بسطوة الغضب وتقل من غلواء الغضب بخداع الشهوة * وتسلط احدهما على الاخر فان ذلك بليغ جدا في تقويمهما حتى ينقادا للعقل والشرع فيستعملهما العقل بحيث ينتفع بهما كما يستعمل الصياد الفرس والكلب عند الحاجة ويسكنهما عند الاستغناء * وشرح هذه الرياضة والصيد طويل ذكرناه في كتاب رياضة النفس *

﴿ الحالة الثانية ﴾

صحبتك مع عموم الخلق فأقل درجات حسن الصحبة كف

الاذى عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ﴾ وفوق ذلك ان تنفعهم وتحسن اليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ الخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله ﴾ وفوق ذلك ان تحتمل الاذى منهم وتحسن مع ذلك اليهم * وذلك درجة الصديقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ رضي الله عنه ﴿ ان اردت ان تسبق الصديقين فصِلْ من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك ﴾ هذه جملة الامر وتفصيل هذه الحقوق كثيرة وتقتصر من جملتها على عشرين وظيفة ﴿ فمنها ﴾ ان لا تحب للناس الا ما تحب لنفسك قال عليه السلام من سرّه ان يزحزح عن النار فليأته منيّته وهو يشهد ﴿ ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ﴾ وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه ﴿ ومنها ﴾ ان يتواضع لكل احد ولا يفتخر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور * وان تكبّر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى * خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴿ ومنها ﴾ ان يوقّر المشايخ ويرحم الصبيان قال عليه السلام ليس منا من

لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا * وقال عليه السلام من اجلال الله تعالى اكرام ذي الشيبة المسلم * وقال صلى الله عليه وسلم ما وقر شاب شيخا لسنه الا قيض الله له فى شيبته من يوقره وهذا يبشره بطول الحياة مع الاجر ﴿ ومنها ﴾ ان تكون مع كافة الخلق مستبشر اطلق الوجه وقال صلى الله عليه وسلم اتدرون على من حرمت النار قال الله ورسوله اعلم قال ﴿ على الهيّن اللين السهل القريب ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السهل الطلق ﴿ ومنها ﴾ اصلاح ذات البين بين المسلمين ولو بالمبالغة والزيادة فى الكلام قال صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين الاثنين * فقال خيرا او نمى خيرا * وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجات القيام والصلوة والصدقة قالوا بلى يارسول الله قال اصلاح ذات البين * وفساد ذات البين هي الحالقة ﴿ ومنها ﴾ ان لا تسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم مايسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم ﴿ لا يدخل الجنة قتات ﴾ وقيل من نم اليك نمّ عليك ﴿ ومنها ﴾ ان لا تزيد فى الهجرة عند الوحشة على ثلاثة ايام قال صلى الله عليه وسلم

لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث * وقال صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما عثرته اقاله الله تعالى عثرته يوم القيامة ﴿ ومنها ﴾ ان تحسن الى كل احد كان اهلا لذلك او لم يكن * قال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس اهله فان لم يصب اهله فانت من اهله ﴿ ومنها ﴾ ان تخالق كل صنف باخلاقهم ولا تلتمس من الجاهل والغبي ماتلتمس من الورع العالم * قال داود عليه السلام الهي كيف لي ان يحبني الناس واسلم فيما بيني وبينك فاوحى الله سبحانه اليه ﴿ خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الآخرة باخلاق الاخرة ﴾ ﴿ ومنها ﴾ ان تنزل الناس منازلهم فتزيد فى اكرام ذي المنزلة وان كانت منزلته فى الدنيا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط رداءه لبعضهم * وقال اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه ﴿ ومنها ﴾ ان تستر عورات المسلمين * قال صلى الله عليه وسلم لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان فى قلبه لاتغتابوا المسلمين

ولا تتبعوا عوراتهم ﴾ *فان من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته ﴿ ومنها ﴾ ان تتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن والسنتهم عن الغيبة * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ اتقوا مواضع التهم ﴾ وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى نسائه فمر به رجل *فسلم عليه فلما مر دعاه *فقال يافلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت اظن فيه فاني لا اظن فيك * فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ﴿ ومنها ﴾ ان تسعى في قضاء حوائج المسلمين ولو بشفاعة قال صلى الله عليه وسلم * اشفعوا الي تؤجروا فاني اريد الأمر فأوخره كي تشفعوا الى فتوجروا * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار فضاها او لم يقضها كان خيرا له مع اعتكاف شهرين ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ قيامك مع اخيك ساعة خير من اعتكافك سنة ﴾ ﴿ ومنها ﴾ ان تبادر بالسلام على كل مسلم وتصافحه ليكون لك فضل البداية * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة تسع وستون لاحسنهما برا ﴿ ومنها ﴾ ان ينصر اخاه في غيبته فيرد عن عرضه وماله * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن احد ينصر مسلما في موضع يهتك فيه من عرضه وتستحل حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته * وما من احد يخذل مسلما في موضع تهتك فيه حرمته الا خذ له الله في موضع يحب فيه نصرته ﴿ ومنها ﴾ ان تداري اهل الشر لتسلم منهم * قالت عائشة رضى الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم * فقال ايذنوا له فبئس رجل العشيرة * فلما دخل ألان له القول حتى ظننت ان له عنده منزلة * فلما خرج راجعته في ذلك فقال ياعائشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من يكرمه الناس اتقاء فحشه * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ ماوقي المرء به عرضه فهو له صدقة ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم * خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم بالقلوب ﴿ ومنها ﴾ ان تحذر مجالسة الاغنياء وتكثر مجالسة المساكين * قال صلى الله عليه وسلم ﴿ اياكم ومجالسة الموتى ﴾

قيل ومن هم قال الاغنياء * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين ﴾ وكان سليمان عليه السلام اذ رأى في المسجد مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا * وقال موسى عليه السلام ﴿ الهي اين اطلبك قال عند المنكسرة قلوبهم من اجلي ﴾ ﴿ ومنها ﴾ ان لا يجالس الا من يفيده فى الدين فائدة او من يستفيد منه * فأما اهل الغفلة فيتحذر منهم * قال صلى الله عليه وسلم الوحدة خير من الجليس السوء * والجليس الصالح خير من الوحدة * فاذا اكثر من مجالسة اهل الغفلة فينتقص من دينه بكل جلسة شيء فليقدر ان كل واحد منهم لو كان يأخذ منه في كل جلسة سلكا من ثوبه او شعرة من شعر لحيته اما كان يحذره خيفة ان يصير على القرب امرد اعاريا * فالحذر لاجل الدين اولى ﴿ ومنها ﴾ ان يعود مرضاهم * ويشيع جنائزهم ويزور قبورهم * ويدعو لهم في الغيبة * ويشمت العاطس وينصف الناس من نفسه * وينصح اذا استنصح الى غير ذلك من حقوق كثرت فيها الاخبار آثرنا فيها الاختصار * وجملتها

ان تعمل فى حقهم ماتحب ان يعمل في حقك من احسان واهتمام وكف اذى *

﴿ الحالة الثالثة ﴾

الصحبة مع من يد لي سوى عموم الاسلام بخاصية كجوار او قرابة او ملك قال صلى الله عليه وسلم ﴿ اذا رميت كلب جارك فقد اذيته ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ اول خصمين يوم القيامة جاران ﴾ وقيل له صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتصلي الليل وتؤذي الجيران فقال ﴿ هي في النار ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ اتدرون ماحق الجار ان استعان اعنته * وان استقرضك اقرضته * وان افتقر جدت عليه وان مرض عدته * وان مات اتبعت جنازته * وإن اصابه خير هنأته * وان اصابته مصيبة عزيته * ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه * واذا اشتريت فاكهة فاهد له وان لم تفعل فادخلها سرا ولايخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده * ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذى نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا

من رحمه الله) ﴿ واما القرابة ﴾ فقد قال صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى ﴿ انا الرحمن ﴾ وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي . فمن وصلها وصلته . ومن قطعها بتته * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ صلة الرحم تزيد فى العمر ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم توجد رائحة الجنة على مسيرة خمس مائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم * وقال صلى الله عليه وسلم برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله عز وجل * وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الولد ضعفان * وقال صلى الله عليه وسلم ساووا بين اولادكم بالعطية ﴿ واما المملوك ﴾ فقد قال فيهم صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون * فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم * وقال صلى الله عليه وسلم اذا كفى احدكم مملوكه طعاما فكفاه حره وعلاجه وقرّبه اليه فليجلسه فليأكل معه او ليأخذ لقمة فليروّغها وليضعها فى يده وليقل كل هذه * وسئل صلى الله عليه وسلم كم نعفو

عن المملوك في اليوم والليلة * قال سبعين مرة * فجملة حق المملوك ان يشرّكه في طعمته وكسوته * ولا يكلفه فوق طاقته ويعفو عن زلته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء * ويعلمه مهمات دينه ﴿ وأما حقوق المنكوحة ﴾ فتزيد على هذا اذ يجب لها مع القيام بواجباتها حسن العشرة والمطايبة * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ خيركم خيركم لاهله * وأنا خيركم لأهلي ﴾ وكان صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه والأخبار في ذلك اكثر من أن تحصى *

﴿ فصل ﴾

من أصول الدين في أمر الصحبة اتخاذ الاخوان فى الله عز وجل قال الله تعالى لبعض أنبيائه ﴿ أما زهدك ﴾ فى الدنيا فقد استعجلت الراحة ﴿ وأما انقطاعك الىّ ﴾ فقد تعززت بي فهل واليت فىّ وليا * وهل عاديت فيّ عدوا * وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله يوم القيامة ﴿ أين المتحابون لجلالى اليوم اظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلي ﴾ واوحى الله سبحانه الى عيسى عليه السلام ﴿ لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض

وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيئاً ﴾
وقال صلى الله عليه وسلم ان حول العرش منابر من نور
عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور وليسوا بانبياء ولا شهداء
يغبطهم النبيون والشهداء * فقالوا يارسول الله حلّهم لنا من هم .
فقال المتحابون في الله * والمتجالسون في الله * والمتزاورون
في الله عز وجل ﴿ واعلم ﴾ ان كل حب لا يتصور دون الايمان
بالله واليوم الآخر فهو حب في الله * ولكنه على درجتين
﴿ احداهما ﴾ ان تحبه لتنال منه في الدنيا نصيبا يوصلك الى
الآخرة كحبك استاذك وشيخك * بل تلميذك الذي ينمو
علمك بتعليمه * بل خادمك الذي يفرغ قلبك عن كنس
بيتك وغسل ثوبك لتتفرغ بسببه لطاعة الله تعالى بل المنفق
عليك من ماله اذا كان غرضك من ذلك افراغ القلب لعبادة
الله تبارك وتعالى * ﴿ الثانية ﴾ وهي أعلى أن تحبه لانه محبوب
عند الله عز وجل ويحب الله وان لم يتعلق غرض به لك
في الدنيا والآخرة من علم او معونة على دين أو غيره * وهذا
أكمل لان الحب اذا غلب تعدى الى كلّ من هو من

المحبوب بسبب حتى يحب الانسان محب محبوبه ومحبوب محبوبه * بل يميز بين الكلب الذي هو في سكة محبوبه وبين سائر الكلاب * وانما سراية الحب بقدر غلبة الحب * ومن احب لقاء الله لم يمكنه ان لا يحب عباده الصالحين المرضيين عنهم الا ان ذلك قد يقوى حتى يحمل على ان يسلك بهم مسلك نفسه بل يؤثرهم على نفسه * وقد يقصر عن ذلك وفضلهم عنده ينقسم بقدر درجته وقوته * وكذلك يبغض لا محالة من يعصيه ويخالف أمره ويظهر أثر ذلك في مجانبته ومهاجرته له وتقطيبه الوجه عند مشاهدته * ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عليّ يدا فيحبه قلبي حذرا من ان يقدح ذلك في البغض في الله * وبالجملة من لا يصادف من نفسه الحب في الله والبغض في الله بهذه الاسباب فهو ضعيف الايمان * وهذا له تفصيل وتحقيق * فاطلبه من كتاب الصحبة والاخوة في الله تعالى *

الأصل التاسع

في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر * قال الله تعالى ﴿ ولتكن

منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات اولياء بعض ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته * أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتتأولونها على خلاف تأويلها ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ﴾ واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا أوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده * وقالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفاً اعمالهم اعمال الانبياء * قالوا يارسول الله كيف ذلك * قال لم يكونوا يغضبون لله عز وجل * ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر *

فصل

كل من شاهد منكرا ولم ينكره وسكت عنه فهو شريك

فيه فالمستمع شريك المغتات * ويجرى هـذا فى جميع المعاصى حتى فى مجالسة من يلبس الديباج ويتختم بالذهب ويجلس على الحرير * والجلوس في دار او في حمام على حيطانها صوراو فيها أواني من ذهب او فضة او الجلوس في مسجد يصلي الناس الصلوة فيه فلا يتمون الركوع والسجود والجلوس فى مجلس وعظ يجرى فيه ذكر البدعة او فى مجلس مناظرة أو مجادلة يجرى فيهـا الايذاء والايحاش بالسفه والشتم * وبالجملة من خالط الناس كثرت معاصيه وان كان تقياً في نفسه الا ان يترك المداهنة ولا تأخذه فى الله لومة لائم * ويشتغل بالحسبة والمنع وانما يسقط عنه الوجوب بأمرين ﴿ احدهما ﴾ ان يعلم انه ان انكر لم يلتفت اليه ولم يترك المنكر ونظر اليه بعين الاستهزاء وهذا هو الغالب في منكرات ترتكبها الفقهاء ومن يزعم انه من أهل الدين * فههنا يجوز السكوت ولكن يستحب الزجر باللسان اظهارا لشعار الدين مهما لم يقدر على غير الزجر باللسان * ويجب ان يفارق ذلك الموضع فليس يجوز مشاهدة المعصية بالاختيار * فمن جلس فى مجلس الشرب فهو فاسق

وان لم يشرب * ومن جالس مغتابا او لابس حرير او آكل ربا او حرام فهو فاسق فليقم من موضعه ﴿ والثاني ﴾ ان يعلم انه يقدر على المنع من المنكر بان يرى زجاجة فيها خمر فيرميها فتكسر * أو يسلب آلة الملاهي من يده ويضربها على الارض ولكن يعلم انه يضرب أو يصاب بمكروه * فهنا يستحب الحسبة لقوله تعالى ﴿ وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ﴾ ولا يجب الا ان يكون المكروه الذي يصيبه له درجات كثيرة يطول النظر فيها ذكرناها في كتاب الأمر بالمعروف من الاحياء * وعلى الجملة فلا يسقط الوجوب الا بمكروه في بدنه بالضرب او في ماله بالاستهلاك او في جاهه بالاستخفاف به بوجه يقدح في مروته * فاما الخوف استيحاش المنكر عليه وخوف تعرضه له باللسان وعداوته له او توهم سعيه له في المستقبل بما يسوءه او يحول بينه وبين زيادة خير يتوقعها * فكل ذلك موهومات وامور ضعيفة لا يسقط الوجوب بها *

فصل

عمدة الحسبة شيئان ﴿ احدهما ﴾ الرفق واللطف والبداية بالوعظ على سبيل اللين لا على سبيل العنف والترفع والاذلال بدالة الصلاح فان ذلك يؤكد داعية المعصية ويحمل العاصى على المناكرة وعلى الايذاء * ثم اذا أذاه ولم يكن حسن الخلق غضب لنفسه وترك الانكار لله تعالى * واشتغل بشفاء غليله منه فيصير عاصيا بل ينبغى أن يكون كارها للحسبة يود لو ترك المعصية بقول غيره فانه اذا أحب أن يكون هو المتعرض كان ذلك لما فى نفسه من دالة الاحتساب وعزته * وقال عليه السلام ﴿ لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه ﴾ ووعظ المأمونَ رحمة الله عليه واعظٌ بعنف فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله تعالى من هو خير منك الى من هو شر منى فامره بالرفق فقال الله تعالى ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ وروى أبو امامة الباهلي رضي الله عنه أن غلاماً شاباً أتى

النبي صلى الله عليه وسلم * فقال أتأذن لى بالزنا فصاح الناس به فقال النبي عليه السلام ﴿ أقرّوه أقرّوه أدن مني ﴾ فدنا منه فقال عليه السلام ﴿ أتحبه لامك ﴾ فقال لا جعلني الله فداك قال عليه السلام ﴿ كذلك الناس لايحبونه لأمهاتهم ﴾ ثم قال ﴿ أتحبه لابنتك ﴾ قال لا قال ﴿ كذلك الناس لايحبونه لبناتهم ﴾ حتى ذكر له الاخت والعمة والخالة ويقول عليه السلام ﴿ كذلك الناس لايحبونه ﴾ ثم وضع يده على صدره وقال ﴿ اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه ﴾ فلم يكن بعد ذلك شيء أبغض اليه من الزنا * وقال بعضهم للفضيل ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان * فقال ما أخذ منهم الا دون حقه * ثم خلى به وعاتبه بالرفق * فقال ياأبا علي ان لم نكن من الصالحين فانا نحب الصالحين *

﴿ العمدة الثانية ﴾

ان يكون المحتسب قد بدأ بنفسه فهذبها وترك ما ينهى عنه أولا * قال الحسن البصري اذا كنت تأمر بالمعروف فكن من آخذى الناس به والا هلكت * فهذا هو الاولى حتى

ينفع كلامه والا استهزئ به * وليس هذا شرطا بل يجوز الاحتساب للعاصي أيضا * قال أنس قلنا يارسول الله ألا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله * قال عليه السلام بلى مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله * وقال الحسن البصري يريد أن لا يظفر الشيطان منكم بهذه الخصلة وهو أن لا تأمروا بالمعروف حتى تأتوا به كله يعني ان هذا يؤدي الى حسم باب الحسبة * فمن ذا الذي يعصم عن المعاصي *

﴿ الاصل العاشر في اتباع السنة ﴾

اعلم أن مفتاح السعادة اتباع السنة والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع مصادره وموارده وحركاته وسكناته حتى في هيئة أكله وقيامه ونومه وكلامه * لست أقول ذلك في آدابه في العبادات فقط لانه لا وجه لاهمال السنن الواردة فيها بل ذلك في جميع أمور العادات * فبذلك يحصل الاتباع المطلق قال الله سبحانه ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾

وقال تعالى ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ فعليك أن تلبس السراويل قاعداً وتتعمم قائما * وتبتدئ باليمين في تنعلك وتأكل بيمينك * وتقلم أظفارك وتبتدئ بمسبحة اليد اليمنى وتختم بابهامها * وفي الرجل تبتدئ بخنصر اليمنى وتختم بخنصر اليسرى * وكذلك في جميع حركاتك وسكناتك فقد كان محمد بن أسلم لا يأكل البطيخ لانه لم ينقل اليه كيفية أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم له * وسهى بعضهم فابتدأ في لبس الخف باليسرى * فكفر عن ذلك بكر حنطة * فلا ينبغي أن تتساهل في أمثال ذلك فتقول هذا مما يتعلق بالعادات فلا معنى للاتباع فيه لان ذلك يغلق عليك بابا عظيما من أبواب السعادة

فصل

لعلك تشتهي الآن الوقوف على السبب المرغب في الاتباع في هذه الافعال وتستبعد أن يكون تحت ذلك أمر مهم يقتضي هذا التشديد العظيم في المخالفة ﴿ فاعلم ﴾ ان ذكر السر في آحاد تلك السنن طويل لا يحتمل هذا الكتاب شرحه لكن ينبغي أن تفهم ان ذلك ينحصر في ثلاثة أنواع من الاسرار ﴿ الاول ﴾

انا قد نبهناك في مواضع على العلاقة التى بين الملك والملكوت وبين الجوارح والقلب وكيفية تأثر القلب بعمل الجوارح فان القلب كالمرآة ولا تتجلي فيه حقائق الاشياء الا بتصقيله وتنويره وتعديله ﴿ أما تصقيله ﴾ فبازالة خبث الشهوات وكدورة الاخلاق الذميمة ﴿ وأما تنويره ﴾ فبأنوار الذكر والمعرفة ويعين على ذلك العبادة الخالصة اذا أديت على كمال الخدمة بمقتضى السنة ﴿ وأما تعديله ﴾ فبأن يجرى في جميع حركات الجوارح على قانون العدل اذ اليد لا تصل الى القلب حتى تقصد بتعديله وتحدث فيه هيئة معتدلة صحيحة لا اعوجاج فيها * وانما التصرف فى القلب بواسطة تعديل الجوارح وتعديل حركاتها . ولهذا كانت الدنيا مزرعة الآخرة * ولهذا تعظم حسرة من مات قبل التعديل لانسداد طريق التعديل بالموت اذ تنقطع علاقة القلب عن الجوارح فمهما كانت حركات الجوارح بل حركات الخواطر أيضا موزونة بميزان العدل حدث في القلب هيئة عادلة مستوية تستعد لقبول الحقائق على نعت الصحة والاستقامة كما تستعد المرآة المعتدلة لمحاكاة الصور

الصحيحة من غير اعوجاج ﴿ ومعنى العدل ﴾ وضع الاشياء مواضعها * ومثاله أن الجهات مثلا أربعة وقد خص منها جهة القبلة بالتشريف فالعدل أن تستقبل في أحوال الذكر والعبادة والوضوء وان تنحرف عنها عند قضاء الحاجة وكشف العورة اظهارا لفضل ما ظهر فضله ﴿ ولليمين ﴾ زيادة على اليسار غالباً لفضل القوة * فالعدل أن تفضلها على اليسار وتستعملها في بعض الاعمال الشريفة كأخذ المصاحف والطعام * وتترك اليسار للاستنجاء وتناول القاذورات ﴿ وقلم الظفر ﴾ مثلا تطهير لليد فهو اكرام فينبغي أن تبتدء بالاكرم والافضل * وربما لا يستقل عقلك بالتفطن للترتيب في ذلك وكيفية البداية * فاتبع فيه السنة وابتدء بالمسبحة من اليمنى لان اليد أفضل من الرجل واليمنى أفضل من اليسرى * والمسبحة التي بها الاشارة في كلمة التوحيد أفضل من سائر الاصابع * ثم بعد ذلك تدور من يمين المسبحة وللكف ظهر ووجه فوجهه ما تقابله * فاذا جعلت الكف وجه اليد كان يمين المسبحة من جانب الوسطى فقدّر اليدين متقابلتين بوجهيهما * وقدّر الاصابع كانها أشخاص فتدور

بالمقراض من المسبحة الى أن تختم بابهام اليمنى * كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم * والحكمة فى ذلك ماذ كرناه فاذا أنت تعودت رعاية المدل في دقائق الحركات صارت العدالة والصحة هيئة راسخة فى قلبك واستوت صورها * وبذلك تستعد لقبول صورة السعادة * ولذلك قال الله تعالى ﴿ فاذا سويته ونفخت فيه من روحى ﴾ فروح الله عزّ وجلّ مفتاح أبواب السعادة ولم يكن نفخها الا بعد التسوية * ومعنى التسوية يرجع الى التعديل * وفى ذلك سر طويل يطول شرحه وانما نريد الرمز الى أصله * فان كنت لا تقوى على فهم حقيقته فالتجربة تنفعك * فانظر الى من تعوّد الصدق كيف يصدق رؤياه غالباً لانّ الصدق حصل فى قلبه هيئة صادقة يتلقى لوائح الغيب في النوم على الصحة * وانظر كيف يكذب رؤيا الكذاب بل رؤيا الشاعر لتعوده التخيلات الكاذبة * فاعوج لذلك صورة قلبه * فان كنت تريد أن تلمح جنات القدس فاترك ظاهر الاثم وباطنه واترك الفواحش ماظهر منها وما بطن * واترك الكذب حتى في حديث النفس أيضا ﴿ السرّ

الثاني ﴾ أن تعلم أن الاشياء المؤثرة فى بدنك بعضها انما يعقل تأثيرها بنوع من المناسبة الى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة كقولك ان العسل يضر المحرورين وينفع البارد مزاجه * ومنها مالا يدرك بالقياس ويعبر عنه بالخواص وتلك الخواص لم يوقف عليها بالقياس بل مبدء الوقوف عليها وحي أو الهام * فالمغناطيس يجذب الحديد * والسقمونيا يجذب خلط السفراء من أعماق العروق لا على القياس بل بخاصية وقف عليها اما بالالهام أو بالتجربة * وأكثر الخواص عرفت بالالهام وأكثر التأثيرات في الادوية وغيرها من قبل الخواص فلذلك ﴿ فاعلم ﴾ أن تأثيرات الاعمال فى القلب تنقسم الى ماهو يفهم وجه مناسبته كعلمك بأن اتباع الشهوة الدنيوية يؤكد علاقته مع هذا العالم * فيخرج من العالم منكوس الرأس مولياً وجهه الى هذا العالم اذ فيه محبوبه * وكعلمك أن المداومة على ذكر الله تعالى تؤكد الانس بالله تعالى وتوجب الحب حتى تعظم اللذة به عند فراق الدنيا والقدوم على الله سبحانه اذ اللذة على قدر الحب * والحب على قدر المعرفة والذكر *

﴿ ومن الاعمال ﴾ ما يؤثر في الاستعداد لسعادة الآخرة او لشقاوتها بخاصية ليست على القياس لا يوقف عليها الا بنورا لنبوة فاذا رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم قد عدل عن أحد المباحين الى الآخر وآثره عليه مع قدرته عليهما ﴿ فاعلم ﴾ انه اطلع بنور النبوة على خاصية فيه وكوشف به من عالم الملكوت كما قال صلى الله عليه وسلم ﴿ يأيها الناس ان الله أمرني ان أعلمكم مما علمني وأدبكم مما أدبني فلا يكثرن أحدكم الكلام عند المجامعة فانه يكون منه خرس الولد ولا ينظرن أحدكم الى فرج امرأته اذا هو جامعها فانه يكون منه العمى * ولا يقبلن أحدكم امرأته اذا هو جامعها فانه يكون منه صمم الولد * ولا يديمن احدكم النظر فى الماء فانه يكون منه ذهاب العقل ﴾ وهذا مثال مما ذكرناه واردنا تنبيهك على اطلاعه على خواص الأشياء بالاضافة الى أمور الدنيا لتقيس به اطلاعه صلى الله عليه وسلم على مايؤثر بالخاصية في السعادة والشقاوة فلا ترضى فترضى لنفسك ان تصدق محمد بن زكريا الرازى المتطبب فيما يذكره من خواص الاشياء في الحجامة والاحجار والادوية

ولا تصدق سيد البشر محمد بن عبد الله الهاشمي المكّي المدنّي صلوات الله عليه وسلامه فيما يخبر به عنها * وأنت تعلم انه صلى الله عليه وسلم مكاشف من العالم الاعلى بجميع الاسرار وهذا ينبهك على الاتباع فيما لا يفهم وجه الحكمة فيه على ما ذكرناه فى السرّ الاول ﴿ السر الثالث ﴾ ان سعادة الانسان ان يتشبه بالملائكه في النزوع عن الشهوات وكسر النفس الامارة بالسوء * ويبعد عن مشابهة البهيمة المهملة سدى التى تسترسل في اتباع الهوى بحسب مايقتضيه طبعها من غير حاجز * ومهما تعوّد الانسان في جميع الامور ان يفعل ما يشاء من غير حاجز الف اتباع مراده وهواه * وغلب على قلبه صفة البهيمة * فصلاحته ان يكون في جميع حركاته ملجما بلجام يصده عن طريق الى طريق كيلا تنسى نفسه العبودية * ولزوم الصراط المستقيم فيكون أثر العبودية ظاهرا عليه فى كل حركة * اذ لا يفعل شيئاً بحسب طبعه بل بحسب الامر * فلا ينفك فى جميع أحواله عن مصادمات الزمان بايثار بعض الامور على بعض ﴿ ومن القى زمامه ﴾ الى

يد كلب مثلا حتي لم يكن تصرفه وتردده بحكم طبعه بل بحكم غيره فنفسه اقوم الى قبول الرياضة الحقيقية وأقرب واقوى ممن جعل زمامه في يد هواه يسترسل بها استرسال البهيمة * ونحت هذا سرّ عظيم في تزكية النفس * وهذه فائدة تحصل بوضع الشارع صلى الله عليه وسلم كيف ما وضعه * والفائدة الحكمية والخاصية لا تتغير بالوضع وهذا يتغير بالوضع * فان المقصود ان لا يكون مخلّى مع اختياره * وذلك المقصود يحصل بالمنع عن أحد الجانبين أيّ جانب كان * وفي مثل هذا يتصور ان يختلف الشرايع لانه ثمرة الوضع * فيكفيك هذه التنبيهات الثلاث على فضل ملازمة الاتباع في جميع الحركات والسكنات *

﴿ فصل ﴾

هذا التحريض كله الذي ذكرته انما هو في العادات ﴿ واما في العبادات ﴾ فلا اعرف لترك السنة من غير عذر وجها الا كفر خفيّ او حمق جليّ * بيانه ان النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال ﴿ تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ﴾

فكيف تسمح نفس المؤمنين بتركها من غير عذر * نعم يكون السبب فى ذلك اما حمق او غفلة بان لا يتفكر في هذا التفاوت العظيم * ومن يستحمق غيره اذا آثر واحدا على اثنين كيف لا يستحمق نفسه اذا آثر واحد على سبع وعشرين * لاسيما فيما هو عماد الدين ومفتاح السعادة الابدية ﴿واما الكفر﴾ فهو ان يخطر بباله ان هذا ليس كذلك * وانما ذكره للترغيب في الجماعة والا فاي مناسبة بين الجماعة وبين هذا العدد المخصوص من بين سائر الاعداد * وهذا كفر خفي قد ينطوي عليه الصدر وصاحبه لا يشعر به * فما اعظم حماقة من يصدق المنجم والطبيب فى امور ابعد من ذلك ولا يصدق النبي المكاشف باسرار الملكوت * فان المنجم لو قال لك اذا انقضى سبعة وعشرون يوما من اول تحويل طالعك اصابتك نكبة فاحترز فى ذلك اليوم واجلس في بيتك فلا تزال فى تلك المدة تستشعر وتترك جميع اشغالك * ولو سألت المنجم عن سببه لقال لك انما قلت ذلك لأن بين درجة الطالع وموضع زحل سبعا وعشرين درجة فتتأخر النكبة فى كل درجة يوما او

شهرا * فاذا قيل لك هذا هوس اذ لامناسبة له فلا تصدقن به فلا يخلو قلبك عن الاستشعار * وتقول في افعال الله تعالى عجائب لاتعرف مناسبتها ولعلها خواص لاتدرك * وقدعرف بالتجربة ان ذلك مما يؤثر وان لم يعرف مناسبته * ثم اذا آل الأمر الى خبر النبوة عن الغيب انكرت مثل هذه الخواص وطلبت المناسبة الصريحة * فهل لهذا سبب الا شرك خفي لا بل كفر جليّ اذ لامحمل له سواه * وسبب هذا التكاسل كله انك لا يهمك أمر آخرتك فان امر دنياك لما كان يهمك فتحطاط فيه بقول المنجم والطبيب وبالاختلاج والفال والامور البعيدة عن المناسبة غاية البعد * وتنقاد الى الاحتمالات البعيدة لان الشفيق بسوء الظن مولع * ولو تفكرت لعلمت ان هذا الاحتياط بالخطر الابدي أليق ﴿ فان قلت ﴾ ففي أي جنس من الاعمال ينبغي ان تتبع السنة ﴿ فاقول ﴾ في كل ماوردت به السنة * والاخبار في ذلك كثيرة * وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ من احتجم يوم السبت والاربعاء فاصابه برص فلا يلومن الا نفسه ﴾ وقد احتجم بعض المحدثين يوم السبت وقال هذا

الحديث ضعيف فبرص وعظم ذلك عليه حتى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فشكى اليه ذلك * فقال لم أحتجمت يوم السبت * فقال لان الراوي كان ضعيفا * قال أليس كان قد نقل عني فقال تبت يارسول الله * فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفاء فاصبح وقد زال مابه * وقال صلى الله عليه وسلم من احتجم يوم الثلثاء لسبعة عشر كان دواء السنة * وقال صلى الله عليه وسلم من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن الا نفسه * وقال صلى الله عليه وسلم اذا انقطع شسع نعل احدكم فلا يمش في نعل واحد حتى يصلح شسعه * وقال صلى الله عليه وسلم واذا ولدت امرءة فليكن اول ماتأكل الرطب فان لم يكن فتمر فانه لو كان شئ افضل منه لاطعمه الله عز وجل مريم حين ولدت عيسى عليه السلام * وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم بالحلواء فليصب منه * واذا اتى احدكم بالطيب فليمس منه * وامثال ذلك في العادات كثيرة ولا يخلو شئ منها عن سر ﴿ خاتمة في ترتيب الاوراد ﴾ وتنعطف على الامور العشرة ﴿ اعلم ﴾ ان هذه العبادات التي فصلناها ﴿ منها ﴾

ما يمكن الجمع بينها كالصوم والصلوة والقراءة ﴿ومنها﴾ مالا يمكن الجمع بينها كالقراءة والذكر والقيام بحقوق الناس والصلوة * فينبغي ان يكون من أهم أمورك توزيع اوقاتك على اصناف الخيرات من صباحك الى مسائك * ومن مسائك الى صباحك * وتعلم ان مقصود العبادات تأكيد الانس بذكر الله عز وجل للانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور ولن يسعد فى دار الخلود الا من قدم على الله سبحانه محباً له * ولا يكون محباله الا من كان عارفا به مكثرا لذكره ولا يحصل المعرفة والحب الا بالفكر والذكر الدائم * ولن يدوم الذكر فى القلب الا بالمذكرات وهي العبادات المستغرقة للأوقات على التعاقب * ولاختلاف اصنافها زيادة تأثير في التذكير ومنع الملال وسقوط اثره عن القلب بالدوام الذي ينتهي الى حد الاعتياد * نعم ان كنت والها بالله عز وجل مستغرقا به لم تفتقر الى ترتيب الاوراد بل وردك واحد وهو ملازمة الذكر وما اراك تكون كذلك فان ذلك من اعز الأمور فان لم تكن والها مستهترا فعليك أن ترتب أورادك * فاحد

الاوراد هو من وقت انتباهك من النوم الى طلوع الشمس وينبغى ان تجمع في هذا الوقت الشريف بعد الفراغ من الصلوة بين الذكر والدعاء والقراءة والتفكر فان لكل واحد أثرا آخر فى تنوير القلوب * وتعرف كيفية ذلك وتفصيله من كتاب بداية الهداية وكتاب ترتيب الاوراد * وكذلك تفعل بين الطلوع والزوال وبين الزوال والغروب وبين الغروب والعشاء فانها من أشراف الاوقات لان النشاط انما يتوفر بان تميز ورد كل وقت لتكون فى كل وقت عبادة اخرى تنتقل من بعضها الى بعض *هذا ان كنت من العبّاد ﴿ فان كنت ﴾ معلما او متعلما أو واليا فالاشتغال بذلك اولى فى بياض النهار وافضل من العبادات البدنية لان أصل الدين العلم الذى به يحصل التعظيم لامر الله سبحانه والنفع الذى يصدر عن الشفقة على خلق الله تعالى * وكذلك ان كنت معيلا محترفا فالقيام بحق العيال بكسب الحلال افضل من العبادات البدنية * ولكن فى جميع ذلك لا ينبغى ان تخلو وتنفك عن ذكر الله تعالى بل تكون كالمستهتر بمعشوقه المدفوع الى شغل من الاشغال

لضرورة وقته فهو يعمل ببدنه وهو غايب عن عمله حاضر بقلبه مع معشوقه * حكى عن أبي الحسن الجرجاني انه كان يعمل بالمسحاة دائما وكان يقول اعطينا اليد واللسان والقلب فاليد للعمل واللسان للخلق والقلب للحق * ولنقتصر على هذا القدر في قسم الطاعات الظاهرة ففيه الكفاية ان شاء الله

﴿ القسم الثالث فى تزكية القلب عن الاخلاق المذمومة ﴾

قال الله تعالى قد أفلح من تزكى وقال قد أفلح من زكاها * والتزكية هي التطهير * وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان فافهم منه ان كمال الايمان بتزكية القلب (١) عما لايحبه الله عز وجل وتحليته بما يحبه الله * فالتزكية شطر الايمان وكيف يشتغل بالطهارة من لا يعرف النجاسة فلنذكر الاخلاق المذمومة وهي كثيرة ولكن نحتاج ان نرد شعبها الى عشرة أصول *

---

(١) نعم ماقال بعض شعراء الفرس فيما له مناسبة بهذا البحث
دردل همه شرك روي برخاك چه سود * باجسم بليد وجامهٔ پاك چه سود
زهراست كناه توبه تریاق وي است * چون زهر بجان رسيد تریاق چه سود